



جماعة العازفين "كت הנוגנים"
ودورها في إحياء الشعر العبري الوسيط
شعر الإخوانيات أنموذجا

إعداد

د. مصطفى مصطفى أبو عثمان رجب

مدرس بقسم اللغة العبرية وآدابها
كلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر

جماعة العازفين "כת הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العبري الوسيط
"شعر الإخوانيات أنموذجاً"

مصطفى مصطفى أبو عثمان رجب

قسم اللغة العبرية وآدابها، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، القاهرة،
جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: MostafaRagab.e20@azhar.edu.eg

الملخص:

تكونت جماعة العازفين "כת הנוגנים" في مدينة سرقسطة شمالي إسبانيا في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي وبداية القرن الخامس عشر الميلادي بمبادرة من الطبيب اليهودي "بنبنست بن شلومو بن لافيه" وتحت تأثير بعض النماذج الأوروبية دعماً للشعر العبري وللشعراء اليهود وقد أخذ هؤلاء الشعراء المنتمين إلى هذه الجماعة على عاتقهم النهوض بالشعر العبري اعتماداً على ما خلفه الرواد الأوائل في الأندلس من أغراض ومضامين ولذلك نجدهم ينظمون في الغزل والمديح والهجاء ويشكون من الزمن... إلخ غير أن الغرض الذي برز فيه هؤلاء جميعاً بشكل أكبر كان "شعر الإخوانيات" ولذلك يأتي هذا البحث ملقياً الضوء على جهود هذه الجماعة ودورها في إحياء الشعر العبري في نهاية العصر الوسيط من خلال قصائد الإخوانيات التي تبادلها شعراء هذه الجماعة فيما بينهم في كثير من المناسبات وهي المناسبات التي رآها أعضاء هذه الجماعة فرصة سانحة لنظم الكثير من القصائد والمقطوعات الأمر الذي ظهر أثره على الشعر العبري وازدهر ازهاره الأخير المعروف هناك في إسبانيا وظهرت جماعة

جماعة العازفين "כת הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العبري الوسيط

كبيرة من الشعراء العبريين الذي لم يألوا جهدا في النهوض بالشعر العبري من جديد وإن بقوا ينظرون إلى القصيدة الأندلسية على أنها النموذج الأمثل للقصيدة العبرية النموذجية.

كلمات مفتاحية: جماعة العازفين، الشعر العبري، شعر الإخوانيات، القصيدة الأندلسية، الشعراء اليهود

The Musicians Group and its role in reviving medieval Hebrew poetry

"The Brotherhood's-poems poetry as an example"

Mustafa Mustafa Abu Etman Ragab

**Department of Hebrew Language and its Literature,
Faculty of Languages and Translation, Al-Azhar
University, Cairo, Arab Republic of Egypt.**

Email: mostafaragab.e20@azhar.edu.eg

Abstract:

The group of musicians; was formed in the city of Zaragoza in northern Spain at the end of the fourteenth century AD and the beginning of the fifteenth century AD, as a result of the initiative of the Jewish physician "Benbenst ben Shlomo Ben Lafi" and under the influence of some European samples to support the Hebrew poetry and Jewish poets. These poets belonging to this group, paid attention for promoting Hebrew poetry, depending on the purposes and contents which have been left by the early pioneers in Andalusia. Therefore, we noticed them compose poetry in flirtation, praise, satire, and complaining about time...etc. But all emerged more in the poetic purpose of Brotherhood's-poems poetry, as a result, this research sheds light on the efforts of this group and its role in reviving Hebrew poetry at the end of the medieval era through the poems of the Brotherhood, which exchanged among themselves on many occasions, and the members of this group saw these occasions as an opportunity to versify many poems and Strophe, which showed its impact on Hebrew poetry, and gained its final prosperity there in Spain. A large group of Hebrew poets-who haven't spared any efforts in promoting Hebrew

جماعة العازفين "كت הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العبري الوسيط

poetry again- appeared, even if they kept looking to the Andalusian poem as the perfect sample for the typical Hebrew poem.

Keywords: Musicians' group, Hebrew poetry, Brotherhood's-poems Poetry, Andalusian poem, Jewish poets

مقدمة

نشأ الأدب العبري (شعرا ونثرا) في الأندلس على نسق الأدب العربي، في السمات والأغراض والمضامين، وليس هناك ممارسة في ذلك، ولا مجادلة. وقد كانت هناك دوافع كثيرة دفعت اليهود أن يعطفوا بلغتهم وأدبهم هذا المنعطف، منها: طبيعة الأندلس السّاحرة، وتسامح المسلمين معهم بوصفهم أهل نمة، وأسباب أخرى كثيرة، منها على سبيل المثال: غيرتهم الشديدة مما وصلت اللغة العربية والآداب العربية، في مقابل ضعف لغتهم، وغثاثة آدابهم.

ولا يقف الأمر عند حدّ السمات والأغراض والمضامين فحسب، وإنما أخذوا أيضاً فنون الأدب العربي وأنماطه الثرية، بعد قرون طوال، قضاها الأدب العبري منذ نشأته، يدور في فلك التقاليد الدينية؛ والتي حينما حاول اليهود التّخلص منها، لم يجدوا أمامهم سوى الأشعار الدينية، التي أطلقوا عليها اسم "البيوطيم"، والتي هي عبارة عن أدعية وتوسلات، والتي كانت تُتلى، أو تنشد في الصلوات، في الكُئس والبيع.

إذن كان للأدب العربي وللغة العربية فضل كبير على الأدب العبري واللغة العبرية في الأندلس. وقد شاءت الأقدار أن يجتاز الأدب العبري هذا الاختبار، على يد بعض اللغويين والأدباء اليهود، الذين كانوا على دراية تامة باللغة العربية وآدابها، جنباً إلى جنب معرفتهم بالعبرية وآدابها القديمة، واستطاعوا أن يطبقوا كل ما وجدوه متاحاً أمامهم في العربية على العبرية، بما في ذلك الأوزان والبحور الشعرية.

جماعة العازفين "كت הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العبري الوسيط

وقد بقيت هذه المؤثرات، بالصورة التي نقلها عليها الرواد، مسيطرةً على الأدب العبري، ولم يحد اليهود عنها قيد أنملة، حتى بعد الطرد من إسبانيا (١٤٩٢م) بزمٍ طويلٍ، على الرغم من انتقال مركز اليهود الأدبي في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين إلى شمالي الأندلس وجنوبي فرنسا؛ ومع ذلك بقيت المؤثرات الأندلسية ثابتة وراسخة في الأدب العبري. وحتى حينما حاولوا التجديد والنهوض بالأدب العبري في إسبانيا المسيحية، نجدهم يلجأون رأساً إلى تراثهم الأندلسي، إيماناً منهم بأنه المثل الأدبي الأعلى.

ويُقسّم حاييم شيرمان المراحل التي مرّ بها الأدب العبري في إسبانيا، بشكلٍ عامٍ، إلى أربع مراحل رئيسة^(١):

المرحلة الأولى: مرحلة الريادة (٩٥٠ _ ١٠٢٠م).

المرحلة الثانية: المرحلة الكلاسيّة (١٠٢٠ _ ١١٥٠م).

المرحلة الثالثة (أ): ما بعد الكلاسيّة (١١٥٠ _ ١٣٠٠م).

المرحلة الثالثة (ب): ازدهار الشعر العبري في جنوبي فرنسا وبرفانس (١٣٠٠ _ ١٣٣٠م).

(١) ينظر:

(أ) حיים شيرمان، השירה העברית בספרד ובפרובانس، ספר ראשון، חלק א,

הוצאת מוסד ביאליק، ירושלים، 1965، עמ' נה.

(ب) ישראל לוין، שירת תור הזהב "שירים"، טדרוס אבואלעפיה، אוניברסיטת

תל אביב، ההוצאה לאור ע"ש חיים רובין، מהדורה ראשונה، 2009، עמ'

כה - כו.

المرحلة الرابعة: التردّي والانحطاط (١٣٠٠ _ ١٤٩٢م). وتتقسم هذه

بدورها إلى:

أ. مرحلة التنوع (١٣٠٠ _ ١٣٧٠م).

ب. مرحلة الصحوة الجديدة (١٣٧٠ _ ١٤٤٥م).

ت. التردّي الأخير (١٤٤٥ _ ١٤٩٢م).

وما يهمننا هنا، هو المرحلة الرابعة، وعلى وجه الخصوص "مرحلة الصحوة الجديدة"، حيث ظهرت في إسبانيا المسيحية جماعة عُرفت باسم جماعة العازفين "כת הגוונים"، التي أخذت على عاتقها النهوض بالشعر العبري، والعودة به إلى سابق عهده، في مراحل الإزدهار الأولى.

ولا تتمثل أهمية هذه الجماعة فقط- في محاولاتها الدؤبة للنهوض بالأدب العبري في العصر الوسيط، والسير بالقصيدة العبرية على نفس الأنماط والأشكال التي أرسنها المدرسة الأندلسية وفقاً لقواعد وأنماط الشعر العربي؛ وإنما كانت هذه الدعوة -في حد ذاتها- جديدة على الأدب العبري؛ فالأدب العبري (شعرا ونثرا) حتى تلك اللحظة، كان مدفوعاً بـعوامل الغيرة على اللغة العبرية والأدب العبري ووضعهما المتردي، في مقابل الأدب العربي؛ أما اليهود هنا فقد كانوا مدفوعين بدوافع الرغبة في النهوض بالقصيدة العبرية، والعودة بها إلى سابق عهدها؛ وقد كان هذا دافعاً جديداً ومتفرداً في حد ذاته؛ كما أن فكرة (الجماعة الأدبية) هي الأخرى، كانت من الأفكار الجديدة والفريدة آنذاك في الأدب العبري، ولم نلتق بها على هذا النحو المنظم حتى ذلك الحين.

تجيب هذه الدراسة عن عدة تساؤلات، أبرزها:

أولاً: ما هي جماعة العازفين "כת הנוגנים" وما الدور الذي اضطلعت به في سبيل ازدهار الشعر العبري في العصر الوسيط؟

ثانياً: ما الدوافع التي دفعت جماعة العازفين "כת הנוגנים" إلى الظهور، ومن داعمها، وإلام كانت تهدف؟

ثالثاً: من هم أبرز الشعراء اليهود المنتسبين إلى هذه الجماعة، وما الصلات الاجتماعية والإنسانية التي ربطتهم؟

رابعاً: كيف وظف شعراء جماعة العازفين "כת הנוגנים" الإخوانيات لتعميق الصلات الإنسانية والاجتماعية فيما بينهم من جانب واتخاذها مناسبة للنظم والتمرن عليه من الجانب الآخر؟

الدراسات السابقة:

على حدّ علم الباحث، لم تقم حتى الآن حول هذه الجماعة الأدبية أية دراسات مستقلة، وهو ما دفع الباحث لخوض غمار هذا الموضوع، للكشف عن بعض جوانبه، والدور الذي لعبته هذه الجماعة في الأدب العبري الوسيط.

منهج الدراسة:

وتقوم هذه الدراسة على المنهج التاريخي، وذلك حينما يتعلق الأمر برصد جماعة العازفين "כת הנוגנים" وتاريخ ظهورها والأسباب المؤدية لذلك، والمنهج التحليلي الوصفي حينما يتعلق الأمر بوصف بعض قصائد

الإخوانيات للشعراء المنتمين لهذه الجماعة وتحليلها، وكشف العلاقات الإنسانية والاجتماعية والأدبية التي ربطت بين هؤلاء الشعراء من خلالها.

محاوَر الدراسة:

وتقوم هذه الدراسة على المحاور الآتية:

أولاً: التمهيد:

ويتناول ظروف وملابسات ودوافع ظهور جماعة العازفين "כת הנוגנים" وأبرز الشخصيات اليهودية العامة والأدبية التي ارتبطت بها.

ثانياً: المحور الأول:

يتناول التعريف بأعضاء جماعة العازفين "כת הנוגנים"، وأول من أرّخ لها من نقاد الأدب العبري في العصر الوسيط، ودورها في إحياء الأدب العبري بأشكاله وأغراضه، وعلى رأسها الإخوانيات. كما يتناول هذا المحور التعريف بالإخوانيات كغرض شعري عرفه الشعراء اليهود في الأندلس عن طريق الشعر العربي، ونظموا فيه كثيراً من القصائد والمقطوعات.

ثالثاً: المحور الثاني:

يتناول الإخوانيات كغرض شعري عند جماعة العازفين "כת הנוגנים" من خلال عرض نماذج لأبرز الشعراء المنتمين لهذه الجماعة، وعلى رأسهم "شلومو دافيرا" و"دون فيدال يوسف بن لافى"، وكيف أسهمت هذه الإخوانيات في توطيد الروابط الاجتماعية والإنسانية بين شعراء هذه

جماعة العازفين "כת הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العبري الوسيط

الجماعة من جانب، ومن الجانب الآخر أسهمت في إمداد الشعر العبري بالكثير من المقطوعات والقصائد الرائعة.

رابعاً: الخاتمة والنتائج.

أخيراً: ثبت المصادر والمراجع.

التمهيد

لا شك أننا أمام حدثٍ فريدٍ واستثنائيٍّ في تاريخ الأدب العبري في العصور الوسطى، بل وفي تاريخ الأدب العبري منذ نشأته وحتى ذلك الوقت؛ وذلك لأننا نلتقي لأول مرة، في الأدب العبري، بجماعةٍ أو مدرسةٍ أدبيةٍ (بالمعنى الحديث)، تحاول أن تتشقّ لنفسها طريقًا معيّنًا، وتتخذ لنفسها مسارًا خاصًا، لأجل النهوض بالأدب العبري.

ورغم ما ثمّله هذه الجماعة من أهميةٍ شديدةٍ في تاريخ الأدب العبري في إسبانيا عمومًا، وفي إسبانيا المسيحية على وجه الخصوص؛ إلا أنّها لم تحظ باهتمام الباحثين، ولم يُلقَ أحدٌ لها بالألّا؛ وأغلب الظن أن ذلك كان راجعًا إلى قلّة ما حُقّق ونُشر من تراث تلك الجماعة؛ أما اليوم فبأيدينا بعض النصوص، والتي رغم قلّتها يُمكن أن نتخذها أساسًا لدراساتٍ كثيرةٍ مستقبليةٍ حول هذه الجماعة، ودراسة خصائصها، والأثر الذي أحدثته في الأدب العبري الوسيط. ومن الخطأ الشديد دراسة أديب أو شاعر ينتمي إلى هذه الجماعة، خارج السياق التاريخي والأدبي لهذه الجماعة نفسها؛ لأنهم جميعًا عملوا بداخلها، وتحت مظلتها.

تكونت "جماعة العازفين" في سرقسطة، في نهاية القرن الرابع عشر، وبداية القرن الخامس عشر الميلاديين، بمبادرة من الطبيب والرئيس اليهودي "بنبنست بن شلومو بن لافيء"⁽¹⁾، وبتشجيع شخصيٍّ منه. وتذكر

(1) الحبر بنبنست الطبيب ابن لافيء: ابن الرابي شلومو بن لافيء، والمعروف باسم "دي كابليرا": وهو من أثرياء اليهود في سرقسطة، ومن رجال البلاط الملكي، عمل فيما بين سنوات (١٣٨٠ _ ١٣٨٦م) وكيلاً للملك لجباية الضرائب المفروضة على البضائع
==

جماعة العازفين "كت النونونم" وورهمفم إحصاء الشعر العبري الوسيط

المصادر أن "بنبنست" هذا، كان مُحبًا للعلماء، ومُقرَّبًا للعلماء والشعراء. ونزولًا على رغبته كُتبت كثير من الكتب العبرية، وتُرجمت كتب أخرى من العربية، نحو كتاب تهافت الفلاسفة، الذي ترجمه زكريا بن إسحاق اللاوي تحت عنوان "הפלת הפילוסופים".

ومن المعلوم أن العلوم والآداب لا تنهض إلا في مثل تلك الأجواء، وما يصاحبها من منافسة وتشجيع. ومن المحتمل أن هذه الجماعة في نشأتها كانت متأثرة بنماذج أوربية؛ وذلك مثل جماعة "البلياد" أو التُّريا "La Pléiad" التي ظهرت في سنة ١٣٢٣م وضمت سبعة شعراء فرنسيين،

==

المستوردة من الخارج. ويعد من اليهود القلائل، الذين لم تدهور أحوالهم في أعقاب أحداث ١٣٩٠م. كما كان مُقرضا للبلاط الملكي. وفي سنة ١٤٠١م ناب عن الملك مارتن في استقبال وفد الجنرال "d,Arago" لحل المنزاعات السياسية بينهما. وهو والد الشاعر المعروف "دون فيدال يوسف بن لافي"، والذي استدعى لتعليمه الشعر واللغة الشاعر "شلومو دافيير". كما كان الحبر بنبنست أيضا مُحبًا للعلم ومقربا للعلماء، وقد كان قصره في سرقسطه مركزًا للحياة الثقافية اليهودية في زمانه، ومدحه معظم مؤلفي عصره في مقدمات كتبهم، وذلك على نحو ما فعل "دافيير" في كتاب "أمري نوآش"، والحاخام هالوركي في "גרם המעלות".

أ_ نפתלי يعقوب הכהן، أוצר הגדולים אלופי יעקב "כולל תולדות גדולי ישראל מתקופת הגאונים הראשונים לא נעדר אחד מהם אשר הובא זכרו בדפוס או בכתב יד، חלק ג، חיפה، עמ' ٤٠١.

ب_ קלמן שולמאן، ספר תולדות חכמי ישראל، חלק 4، ווילנא، בדפוס והוצאת האלמנה והאחים ראם، 1878، עמ' 64.

ג_ ד"ר שמעון ברנשטיין، דיואן של שלמה בן משולם דאפיירה، חלק א، הוצאת "עלים"، ניו-יורק، תש"ג، עמ' VII.

وكذلك سبع شاعرات من مدينة "تولوز" الفرنسية، والتي تقع بالقرب من الحدود الإسبانية^(١).

وقد عُرفت هذه الجماعة الأدبية باسم "כת נוגנים" "جماعة العازفين"، وباسم "לדת משוררים" "طائفة الشعراء"، وباسم "חבורת נוגנים" "مجموعة العازفين"؛ وارتبطت بعلاقاتٍ طيبةٍ مع معظم الشخصيات البارزة في النخبة اليهودية في شتى أرجاء إسبانيا، نحو: "دون مئير الجواديس الطليطي" حاخام قشتالة وطبيب الملك خوان الأول (ملك قشتالة وليون ١٣٥٨ _ ١٣٩٠م)^(٢)، و"يوسف أورا بونا الطليطي" رئيس يهود نفارا وطبيب الملك كارلوس الثالث (١٤٢٥م)^(٣)، و"حسداي قرسقاس" حاخام سرقسطة ورئيس يهود أراجون الرسمي^(٤)، و"شلومو هاليفي

(١) حول هذه الجماعة، ينظر "الموسوعة العربية": <http://arab-ency.com.sy/detail/2178> آخر دخول: ٣٠ / ٥ / ٢٠٢٠م.

(٢) سيأتي الحديث عنه لاحقاً.

(٣) وتذكر المصادر أن يوسف أورا بونا هذا قد رافق الملك كارلوس الثالث في رحلاته المختلفة إلى فرنسا، كما عمل مستشاراً له في الشؤون الدولية المهمة، التي كانت مطروحة في ذلك الوقت.

- יצחק בער, תולדות היהודים בספרד הנוצרית, עם עובד, תל-אביב, הדפסה שלישית, 1965, עמ 297.

(٤) حسداي بن أبرهام قرسقاس "חסדאי בן אברהם קרשקש" فيلسوف، وحاخام تلمودي، وسياسي يهودي. ولد حوالي سنة ١٣٤٠م في مدينة برشلونه لأسرة ربانية ذات أصول يهودية عريقة. وهو حفيد الحبر حسداي بن يهودا قرسقاس. تلقى تعليمه على يد الحبر نسيم بن رأوبين "ר' נסים בר' ראובין" وكان من أبرز تلاميذه. وربطته أوامر صداقة شديدة بالحبر إسحاق بن ششت "ר' יצחק בן ששת". شارك سنة ١٣٨٣م في المباحثات التي أجريت مع "بدر الرابع" ملك كتالونيا لأجل حصول اليهود على مزيد من الحقوق. ومع اعتلاء الملك خوان الأول عرش أراجوان أصبح حسداي أحد المقربين من القصر. وانتقل في نفس الفترة إلى سرقسطة. ويقال أنه تولى ربانية أراجون في فترة من الفترات.

==

جماعة العازفين "كت הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العبري الوسيط

البورجوسي" الذي تنصّر فيما بعد، وعُرف باسم "بولس دي سانتا ماريا"⁽¹⁾، و "يهوشوع اللوركي مالكيناس"⁽²⁾ الذي تنصّر هو الآخر، وعُرف باسم "ماسترو هيرونيموس دي سانتا بيذا"⁽³⁾.

==

- مورדכי מרגליות (עורך כללי), אינצקלופדיה לתולדות גדולי ישראל, כרך 2, הוצאת יהושוע צ'צ'יק, תל-אביב, עמ' 549 – 550.
(1) שלومو هاليفي البورجوسي "שלמה הלוי מבורגוס" (1350 _ 1435م), عُرف بعد تنصره باسم "بولوس دي سانتا ماريا" "Paulus de Santa Maria", ويعد من كبار اليهود المنتصرين في تلك الفترة. كان ينتمي لعائلة يهودية عريقة في بورجوس، عملت لعدة أجيال في جباية الضرائب وفي بقية وظائف الدولة. وقد ارتبط بعلاقات صداقة قوية مع عدد من الشخصيات اليهودية العامة في تلك الحقبة، أمثال: الحبر إسحاق بن ششت"יצחק בר ששת"، ودون مثير الجوايس "דון מאיר אלגואדיש"، ودون يوسف أورا بونا "דון יוסף אורה בונה".

- יצחק בער, תולדות היהודים בספרד הנוצרית, עמ' 308.
(2) יהושע اللوركي "יהושע הלורקי" (١٤٠٠ _ ١٤٣٠م؟), يهودي منتصر، عُرف بعد تنصره باسم "ماسترو هيرونيموس دي سانتا بيذا" "הירונימוס דה סנטה פידה". ولد في مدينة لوركا جنوب شرقي إسبانيا، وتلمذ على يد اليهودي المنتصر "شلومو هاليفي البورجوسي"، وهو الذي أدار جدل طرطوسة، وبعد اعتناقه المسيحية لفترة من الزمن، عاد مرة أخرى إلى اليهودية.

- https://he.wikipedia.org/wiki/%D7%99%D7%94%D7%95%D7%A9%D7%A2_%D7%94%D7%9C%D7%95%D7%A8%D7%A7%D7%99

(3) מתי הוס, סיפור עגבים או משל מוסרי? "מליצת עפר ודינה" לדון וידאל בבבנשת, המכון למדעי היהדות ע"ש מנדל, תשנ"ג, עמ' 115.

أولاً: أعضاء جماعة العازفين "كت הנוגנים":

يُعدُّ الشاعر اليهودي: "شلومو بُونافيد"⁽¹⁾ أقدم من أرَّخ لهذه الجماعة في قصيدته "فليتِي השיר" "بقايا الشعر"؛ والتي يقول فيها:

העוד ימים ישלמו משלם/ היקום בדרשי ובנו ידעיה?

עלי חרבות בני עזרא וקבר / גבירול נאנק ולבית לוויה?

ביד עט נבאו עשו פליאות / אשר לא יעשה גד ואליה [...]

במותם מותתו ילדי זמירות / בקברם נקברו עד עת תחיה

עדי בן בנבנשת עמד והוקם / אבי השיר, ואמנו לביא

ופיאירה פאר זמרה ופארה / ואוי כי קדרה שמש זרחיה

לארבעתם מלוכת שיר, ובאו / בדור שפל כעין מים בציה

(1) شلومو بونافيد "שלמה בונפיד": شاعر يهودي، ولد في كتالونيا، في الثلث الأخير من القرن الرابع عشر. وعاش في مدينة سرقسطة، وفي مدن أخرى. و تُوفي سنة ١٤٤٥ م. ويعدُّ بونافيد آخر الشعراء العبريين في إسبانيا قاطبةً، والذي توفي قبل طرد اليهود من الأندلس بـ ٤٥ سنة. تميزت أشعاره بالنزعة التشاؤمية، بسبب أوضاع اليهود التي كانت أخذة حينئذٍ في التردّي -يوماً بعد يوم- في إسبانيا، وما تركته تلك الأوضاع من آثارٍ سلبيةٍ على الأدب العبري، كان أبرزها هو انهيار "جماعة العازفين" "كت הנוגנים"، والتي كان قد انضمَّ إليها في سن صغيرة.

- חיים שירמן, השירה העברית בספרד ובפרובאנס, ספר שני, חלק ב, הוצאת מוסד ביאליק, ירושלים, עמ' 620.

- https://he.wikipedia.org/wiki/%D7%99%D7%94%D7%95%D7%A9%D7%A2_%D7%94%D7%9C%D7%95%D7%A8%D7%A7%D7%99

جماعة العازفين "كت הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العبري الوسيط

أבל באחרית עברו ברית שיר / עזבנו והיינו לשביה

ושמנו מחסה על בן ראובן / והוא חלל גאון זמרה וצביה⁽¹⁾

أتأتي الأيام بمثل مشولم / أيقوم بدراشي وابنه يدعيا؟

على أطلال "بني عزرا" ولقبر / "جبيرول" يحنّ، وليبت لويا

بيد كاتب تنبؤوا، صنعوا معجزات / لم يصنعها جاد⁽²⁾ وإيلياء⁽³⁾

بموتهم مات العازفون / ودفنوا بدفنهم حتى عصر الإحياء

حتى جاء ابن بنبنست ونُصّب / أميراً للشعر، و لافيء ففانه

وببيرا (دافييرا) زَيْن الشعر وزخرفه / وويل لأن شمس زرحيا قد غربت

لأربعتهم مُلكُ الشعر، وجاؤوا/ في عصر الانحطاط كعين ماءٍ في قفرٍ

بيد أنهم نكثوا في النهاية عهد الشعر / تركونا فأصبحنا أساراى

(1) שלמה בונפיד, 'פליטי השיר', בתוך: א' קאמינקא, 'שירים ומליצות להר' שלמה

בהר' ראובן בונפיד, הצופה לחוכמת ישראל, י (תרפ"ו), עמ' 289.

(2) جاد : شخصية مقرائية، رائى أو نبى، وهو صديق لداود جاء إليه لما كان داود في

مغارة عدلام، ونصحه أن يترك ذلك المكان، إلى غيره أكثر أمانا (صموئيل الأول ٢٢ /

٥) صار لداود مشيرا ورائيا ثم جاء إلى داود بعد ذلك ليختار، بناء على أمر الله، واحدا

من ثلاثة أنواع القصاص لما أحصى داود الشعب (صموئيل الثاني ٢٤ / ١١ _ ١٤).

ساعد في ترتيب الخدمة الموسيقية في بيت الرب (أخبار الأيام الثاني ٢٩ / ٢٥) وكتب

تاريخ ملك داود (أخبار الأيام الأول ٢٩ / ٢٩).

- نخبه من الأساتذة ذوي الاختصاص، قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة، ط

١١، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٢٤١.

(3) إيلياثة: شخصية مقرائية، وهو ابن هامان من سبط لاوي وكان يضرب على الآلات

الموسيقية في عبادة الرب في زمن داود (أخبار الأيام الأول ٢٥ / ٤ و ٢٧).

- نخبه من الأساتذة ذوي الاختصاص، قاموس الكتاب المقدس، ص ١٤٤.

فجعلنا مُتَكَلِّمًا على ابن رَؤبِين / ففض بكاره نغمه وحسنه

فبحسب "يونافيد"، يُشكِّل هؤلاء الشعراء الحلقة الأخيرة، في سلسلة شعراء اليهود في الأندلس، الذين عدَّ منهم: مشولم دَافِيرَا (جد شلومو دافييرا)، وأبناء عزرا (وهم: أبراهام بن عزرا*، وإسحاق ابنه***)، وموسى بن عزرا***⁽¹⁾ وسليمان بن جبيرول⁽¹⁾ (وهؤلاء يمثلون مجموعة

(1) *أبراهام بن عزرا "אברהם אבן עזרא": شاعر، وفيلسوف، ونحوي، وفلكي، ومنجم، وطبيب، وقبل كل شيء مفسر للمقرا. ولد سنة ١٠٨٩م أو سنة ١٠٩٠م في سرقسطة الإسلامية وتوفي سنة ١١٦٤م. وقد قسّم الدارسون حياته إلى فترتين، تتميز كل واحدة منهما بسمات مميزة: الأولى هي فترة الأندلس، أي قبل رحيله إلى إيطاليا قبل سنة ١١٤٠م، والثانية: هي فترة تجواله في إيطاليا، وفرنسا، وبريطانيا، ثم فرنسا مرة ثانية وفلسطين. وفيما يبدو أنه عاش في المرحلة الأولى من حياته فترة من الزمن في شمالي إفريقيا: في تونس (وعلى وجه الخصوص مدينة قابس)، والجزائر، والمغرب، ومصر، وتعرّف في قابس على الحبر شموئيل بن جامع.

- مردכי مرغلיות (عורך كللي)، انצאקלופדיה לתולדות גדולי ישראל, כרך 1, למ' 83.

** إسحاق بن أبراهام بن عزرا "יצחק בן אברהם בן עזרא": من كبار شعراء اليهود في الأندلس في العصور الوسطى. ولد فيما يبدو في قرطبة، وترك الأندلس مع أبيه أبراهام بن عزرا أو مع يهودا اللاوي. ثم نلتقي به بعد ذلك في القاهرة عاصمة مصر. ولم يعثر حتى الآن سوى على قصيدتين من أشعاره، الأولى نظمها في مديح الطبيب الحبر شموئيل بن حننيا، والثانية في يهوشع بن دوسا، وهو من كبار رجال الدولة، نظمها له بمناسبة خروجه من السجن وعودته مرة ثانية إلى منصبه.

- مردכי مرغلיות (عורך كللي)، انצאקלופדיה לתולדות גדולי ישראל, כרך 3, למ' 953.

***موسى بن عزرا: ناقد، وشاعر يهودي. ولد في مدينة غرناطة بالأندلس، وتباينت الآراء حول مولده ووفاته، ولكن المرجح أنه ولد سنة ١٠٥٥م توفي بين عامي ١١٣٥ - ١١٤٠م. تلقى العلم على يد عدد كبير من الأساتذة أبرزهم على نحو ما يذكر هو "إسحاق بن غياث". ومن أبرز مؤلفاته النقدية التي تركت بصمات جلية في تاريخ النقد الأدبي العبري كتاب "المحاضرة والمذاكرة".

==

جماعة العازفين "كت הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العبري الوسيط

الشعراء الأندلسيين؛ الذين عاشوا في الأندلس في ظل الحكم الإسلامي)، وأبراهام هبدراشي^(٢) ويدعيا هبيني^(٣) (ويُتمثل هؤلاء جماعة الشعراء الذين عاشوا في إسبانيا المسيحية)^(٤).

وفي نهاية القرن الرابع عشر، حدث تدنٍ وانحطاطٍ في الأدب العبري في إسبانيا المسيحية، ولكن ومع ظهور جماعة العازفين "كت הנוגנים"، عاد الأدب العبري ليحتلّ مكانة عالية بين اليهود. وقد عدَّ "بونافيد" من شعراء هذه الجماعة في قصيدته الأنفة: فيدال بن لافئ (الذي لقبه بأمر الشعر

==
_ محمد الهدلق، موقف موسى بن عزرا من البيان العربي، جذور، النادي الأدبي الثقافي بجدة، مج ٩، ج ٢١، ٢٠٠٥م، ص ٥٨.

(١) سليمان بن جبيرول "שלמה בן גבירול": شاعر يهودي، ولد سنة ١٠٢٠م، في مدينة مالقة، إثر سقوط مدينة قرطبة عقب ثورة البربر ١٠١٢م، وانتقال أسرته من قرطبة إلى مالقة. أثرت على أعماله مجموعة كبيرة من المؤثرات، أهمها حالة اليتيم التي عانى منها في سن مبكرة وكذلك موت صديقة يقوئيل بن حسان. وتتميز أشعاره بالنزعة التشاؤمية والنزعة الفلسفية العقلانية. وكتب في أغراض كثيرة ومتنوعة.

(أ) د.ألفت محمد جلال، الأدب العبري القديم والوسيط، مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٧٨م، ص ١٣١.

(ب) د.توفيق علي توفيق، قطوف من الأدب العبري الأندلسي، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٥٤.

(٢) أبراهام بن إسحاق بدراشي "אברהם בן יצחק בדרשי" (1230 _ 1300): حاخام ونحوي عبري، وشاعر وبيطان، عاش في بروفانس في القرن الثالث عشر الميلادي.

- <https://www.daat.il/encyclopedia/value.asp?id1=208> آخر

دخول ٩/٤/٢٠٢٢ الساعة ٩:٥٠ مساءً.

(٣) يدعيا بن أبراهام هبيني أو بدراشي "ידעיה בן אברהם הפניני (או בדרשי)" (١٢٧٠ _ ١٣٤٠م): فيلسوف وشاعر يهودي، ولد في بيزيه في بروفانس، ثم انتقل إلى برشلونه في إسبانيا. أبوه هو الحبر أبراهام بن إسحاق بدراشي.

- مردכי مرغلיות(عורך كللي)، אנציקלופדיה לתולדות גדולי ישראל، חלק ב، עמ' 586.

(4) מתי הוס, סיפור עגבים או משל מוסרי?, עמ' 116.

العبري "أبي השיר"⁽¹⁾، وفيدال بنبنست بن شلومو (الذي يُسميه فنان الشعر العبري "أمن השיר")⁽²⁾، وشلومو بن مشولم دافبيرا⁽³⁾، وشاعر آخر يُدعى "زرحيا هاليقي"⁽⁴⁾.

وبالإضافة إلى هؤلاء الشعراء الأربعة الرئيسيين، عمل في إطار هذه الجماعة شعراء كُثر آخرون، من بينهم "إستروك هاليقي الدورقي"⁽⁵⁾، و"إستروك رموخ الفرجي"⁽⁶⁾ (الذي تنصر سنة ١٤١٤م ودعى نفسه باسم: فرانسيسكو دي سنت يوردي)، و"موشي بن عباس السرقسطي"⁽⁷⁾، و"دون

(1) انظر هذا البحث لاحقاً.

(2) انظر هذا البحث لاحقاً.

(3) انظر هذا البحث لاحقاً.

(4) מתי הוס, סיפור עגבים או משל מוסרי?, עמ' 116.

*زرحيا بن إسحاق هاليقي "זרחיה בן יצחק הלוי": هو الحبر زرحيا المنتشوني "זרחיה במותשון" (نسبة إلى مدينة مُنتشون بإسبانيا) وأبرز اليهود الذين بعثوا للمشاركة في جدل طرطوسة. كان شاعرًا كبيرًا، ومدحه دافبيرا في قصائده. ويجب التفريق بينه وبين زرحيا بن إسحاق هاليقي "זרחיה הלוי"، ابن القرن الثاني عشر الميلادي، والذي كان يعيش في مدينة جيرونا، والمتوفى سنة ١٣٨٦م.

- שמעון ברנשטיין, דיואן של שלמה בן משולם דאפיירה, עמ' XVII.

(5) استروك هاليقي "أستروك הלוי" أو "انشموئيل بونستروك" "انشمواال بونشتروك" من مدينة ذُروقه (التابعة لسرقسطة) الذي كان من بين المشاركين في جدل طرطوسة، والذي دافع فيه بقوة عن اليهودية، وذهب إلى أن اليهودية لا تُلزم أتباعها الإيمان بالأساطير، وقد عارضه في ذلك الحبر "يوسف البو" "يوسف ألبو". وقد ارتبط بعلاقات صداقة شديدة بشلومو دافبيرا، ومدحه في عدد من قصائده.

- שמעון ברנשטיין, דיואן של שלמה בן משולם דאפיירה, עמ' XIV.

(6) استروك رموخ "أستروك رموخ": طبيب يهودي من مدينة فرجه، تنصر أثناء جدل طرطوسة سنة ١٤١٤م.

- שמעון ברנשטיין, דיואן של שלמה בן משולם דאפיירה, עמ' XVIII.

(7) ينظر هذا البحث لاحقاً.

جماعة العازفين "كت הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العبري الوسيط

إستروك قرسقاس السلسوني⁽¹⁾، و"بوناستروك ديسمايسترى الجبروني"، و"أنبونجودا يحسنيل هقتلري"، و"شلتتيل بونفوش"⁽²⁾.

إلا أن "شلمو دافييرا" كان أبرز هؤلاء الشعراء، والذي عُدَّ من مؤسسيها الأول، وأهم داعميها على الإطلاق، وأغزر أعضائها إنتاجًا، وأتقنهم لصناعة الشعر؛ كما أن معظمهم قد تتلمذ على يديه في صناعة الشعر.

ثانياً: دور جماعة العازفين "كت הנוגנים" في إحياء الأدب العبري:

أخذت هذه الجماعة على عاتقها النهوض بالأدب العبري، بعد أن عانى ردحًا من الزمن من الانحطاط والركود في بداية القرن الرابع عشر الميلادي، فأحدث أعضاؤها نهضةً جديدةً في الأدب العبري⁽³⁾.

ومن ينعم النظر في قصيدة "بونافيد" السالفة، سيجده يذكر هذا، كما يجده أيضًا يصف الفترة التي ظهرت فيها هذه الجماعة بفترة الإحياء "עת תחייה"؛ لأنها جاءت بعد ركودٍ دامٍ ردحًا من الزمن في الأدب العبري.

(1) وهو الحبر قرسقاس فيدال "קרשקש וידאל"، درس التوراة في بيت مدراش أهارون هالي في مدينة برشلونة، وله تجديدات على التلمود.

- מרדכי מרגליות, אנציקלופדיה לתולדות גדולי ישראל, כרך 4, עמ' 1230.

(2) מתי הוס, סיפור עגבים או משל מוסרי?, עמ' 116.
وينظر أيضًا: חיים בראדי, ר' שלמה דאפיאירה "דברים אחדים אדותיו ואדות ספריו עם תוצאות מספרו "שיר השירים", ברלין, תרנ"ג, עמ' 13.

(3) الجدير بالذكر، أن هذه النهضة رغم محاولتها الجادة لإحياء الأدب العبري والنهوض به، إلا أنها لم تستطع الصمود والوقوف في وجه الأحداث المتلاحقة والمتعاقبة، والتي سرعان ما عصفت بالوجود اليهودي في شبه الجزيرة الأيبيرية، بعد سقوطها بشكل كامل في قبضة المسيحيين، وما تبع ذلك من عمليات اضطهاد وتتصير، وهو ما أدى إلى توقف مسيرة الأدب العبري في إسبانيا بشكل كامل. (الباحث)

وإذا كانت فكرة الجماعة الأدبية في حد ذاتها هي فكرة أوربية؛ إلا أن أتباعها قد أخذوا على عاتقهم إحياء التقاليد الأدبية العبرية الأندلسية؛ حيث مثَّلت لهم قمة ازدهار الأدب العبري، كما مثَّلت لهم النموذج الذي يجب أن يُحتذى، إذا ما أرادوا النهوض بالأدب العبري من سباته مرةً أخرى.

ومن هنا أخذ شعراء "جماعة العازفين" يَنْظُمُونَ في شتى الأغراض الشعرية، مثل: المدح والفخر، والهجاء، والغزل، والخمريات، والإخوانيات، وما إلى ذلك من أغراضٍ متنوعةٍ. كما اقتحموا أيضاً مجال النثر، وكتبوا عدداً كبيراً من الرِّسائل والمؤلفات، بعضها بالنثر المُسجَّع، والبعض الآخر بالنثر العادي⁽¹⁾.

ثالثاً: شعر الإخوانيات في الشعر العربي:

شعر الإخوانيات من الأغراض الشعرية القديمة في الشعر العربي، وقد عرفه الشعراء العرب في شتى العصور الأدبية، ويميلون فيه إلى المراسلات الشعرية، حول بعض القصائد، أو المؤلفات، أو الأفكار والآراء المختلفة؛ كما قد يكون عبارة عن بعض الألغاز والأحاجي التي يُطلب حلها؛ وربما كان عبارة عن تهنئة، أو عتاب، أو شكوى، أو تعبير عن الودِّ والمحبة والصدقة وما إلى ذلك من المعاني والصُّور الاجتماعية التي لا حصر لها⁽²⁾.

(1) ينظر: مתי הוס, סיפור עגבים או משל מוסרי?, עמ' 116.

(2) ينظر:

أ. محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م، ص ٤٥.

جماعة العازفين "كت הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العربي الوسيط

وقد عرف شعراء العربية في الأندلس "شعر الإخوانيات"، وأدلو فيه بدلائهم، كابن زيدون^(١) الذي كتب إخوانيات كثيرة، في العتاب، والاعتذار، والاستشفاع، والشكر، والتفكه، والدعابة، والصداقة، والمودة. وهو الذي أرسل إلى عبد الله بن القلاس البطليوسي مداعبًا، قائلاً:

قُلْ لِأَبِي حَفْصٍ وَلَمْ تَكْذِبِ / يَا قَمَرَ الدِيَوَانِ وَالْمَوَكِبِ

مَا لِأَبِي صَفْوَانَ مَأْلُوفِنَا / أَبْرِقَ فِي الْأُلْفَةِ عَن خُلْبِ

وَأَمْ يَعُدُّ إِلَّا كَمَا يَتَّقِي / مُسْتَرْقُ السَّمْعِ مِنَ الْكُوكِبِ^(٢)

رابعاً: الإخوانيات في الشعر العربي:

عرف شعراء اليهود في الأندلس فن الإخوانيات الشعرية عن طريق الأدب العربي، وكتبوا فيه وتناولوه في مضامينة الواسعة والمتعددة؛ فإذا ما

==
ب. بكري شيخ أمين، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، دار العلم للملايين، ط ٧، ١٩٩٩م، ص ٢٨٨.

(١) هو أحمد بن عبد الله بن زيدون، ولد بمدينة قرطبة (٣٩٤ هـ / ١٠٠٣م)، في بيت من بيوت أعيانها وفقهائها؛ حيث كان أبوه من أهل الجاه والثراء. تلقى العلم على يد ثلة كبيرة من علماء الأندلس في زمانه، كان أولهم والده، الذي كان بمثابة أستاذه الأول، وكذلك أبو العباس بن ذكوان، صديق أبيه، وأبو بكر مسلم بن أحمد. وقد نظم ابن زيدون الشعر في أغراض كثيرة ومتنوعة، مثل: الغزل، والنسيب، والمدح، والإخوانيات، والتعريض، والهجاء.. الخ.

أ. شوقي ضيف، ابن زيدون، دار المعارف، القاهرة، ط ١١، ص ١٥.

ب. محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م، ص ٣١٣ - ٣١٤.

(٢) أبو الوليد أحمد بن عبد الله المخزومي المعروف بابن زيدون، ديوان ابن زيدون، شرح/ يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م، ص ٥٠.

أراد شاعر ما أن يُعبّر عن حبه وتقديره لشاعر آخر، تربطه به صداقة؛ فقد كان ينظم له قصيدة، فيقوم الآخر بالرّد عليها بمثلها^(١).

ويُشترط في هذا النوع من القصائد، تساوي الشاعران في المنزلة الاجتماعية؛ أو بمعنى آخر: الانتماء إلى نفس الطبقة الاجتماعية؛ ومع ذلك، لا نعدم وجود صداقة وإخوة حقيقية تكوّنت بين بعض الشعراء، ممن انتموا إلى طبقات اجتماعية متباينة؛ على نحو ما كان بين "إسحاق بن خلفون"^(٢) و "شموئيل هناجيد"؛ إذ كان الأول ينتمي إلى طبقة اجتماعية أقل من الثاني (كما كان يصغره سنّاً)، ومع ذلك ربطتهما أواصر صداقةٍ شديدة، وتبادلا قصائد الإخوانيات بينهما، وأزارا بعضهما وقت الشدائد والمصائب^(٣).

وحينما عُزل "شموئيل هناجيد" عن الأنظار التي كان يتولاها في غرناطة، وقُتل حميه وابن أخته^(٤)، كتب إليه إسحاق بن خلفون مواسيا

(١) شولميت אליצור، שירת החול העברית בספרד המוסלמית, כרך 2, האונברסיטה הפתוחה, עמ' 275.

(٢) إسحاق بن خلفون "יצחק אבן כלפון": لم تذكر المصادر تاريخاً محدداً لميلاده، لكن المؤكد أنه ولد في منتصف القرن العاشر الميلادي، وقضى شطراً من حياته في مدينة قرطبة، وربطته علاقة صداقة بالشاعر اليهودي شموييل هناجيد. وقد عُرف ابن خلفون بأنه شاعر الاغتراب الأول بين شعراء اليهود في العصر الأندلسي، فقد ترك قرطبة وخرج سائحاً متجولاً في مناطق عديدة، يتوجه بشعره إلى أغنيائها ورجالها المرموقين يمدحهم لينال عطاياهم.

- عبد الرازق قنديل، شعراء العبرية في الأندلس، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٤٦ _ ٤٧.

(٣) شموאל הנגיד، دیوان شموאל הנגיד (בן תהלים), מתוקן על ידי: ד"ר דוב ירדן, הוצאה 2, ירושלים, תשמ"ה, עמ' 192.

(٤) استطاع الناجيد في بداية حياته أن يكسب ثقة الوزير أبو العباس إسماعيل، وزير الملك حابوس (ملك غرناطة)، فعينه جابياً للضرائب؛ وقد استطاع أن يحقق ثراءً فاحشاً

==

جماعة العازفين "كت הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العبري الوسيط

قصيدتا: "كرمك واسع وعميق" "נדבותיך רחבה ועמוקה" و"العالم كعنق المصروع" "פני תבל כצואר המצורע"⁽¹⁾؛ فرد عليه "الناجيد" بقصيدة "صداقتك في أعماق فوادي" "ידידותך בתוך לבי"؛ والتي يقول فيها:

ידידותך בתוך לבי צוקה / ואין ביני ובינך דין חלקה

ואהבה לא פאהבתך, כתבה / אגוז על קיר לבבי-חיש מחוקה

ונפשי מאשר תרחיק רחוקה / ונפשי באשר תדבק דבקה⁽²⁾.

صداقتك مكونة في قلبي / وليس بيني وبينك خلافٌ

وأي محبة ليست كمحبتك، كتبها / إنسان على شغاف قلبي تُطمس سريعًا

ونفسي مما تنفرُ نافرًا / ونفسي بما تولعُ مولعًا

وربما لم تكن هذه هي الحالة الوحيدة، في الأدب العبري، التي تكونت فيها صداقة بين شاعرين من طبقتين متباينتين، وتبادلا خلالها القصائد والأشعار؛ وذلك لأننا سنرى هنا أيضًا حالة مشابهة بين الشاعرين: "شلومو دافيرا" وبين "فيدال بن لافئ"؛ حيث ينتمي الأول إلى طبقة اجتماعية أقل من فيدال، وكان يكبره سنًا، كما كان معلمه وأستاذه؛ ومع كل هذه الفروق

من هذه الوظيفة بطرق كثيرة غير مشروعة، مما جعل اليهود يضجون من تجاوزاته، والتي استطاعوا أن يثبتوها عليه؛ فعزل واعتقل، وكان ذلك سنة ١٠٢٠م. وتجدر الإشارة إلى أنه بعد هذه الحادثة قد استطاع أن يخرج من السجن، ويعود إلى منصبه مرة أخرى، بل ووصل إلى درجة الوزارة.

ينظر: د. خالد الخالدي، اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، مطبعة ومكتبة دار الأرقم، فلسطين – غزة، دت، ص ١٩٩.

(1) شولمית אליצור، שירת החול העברית בספרד המוסלמית, כרך 2, עמ' 276.

(2) שמואל הנגיד, דיואן שמואל הנגיד "בן תהלים", עמ' 192.

الأدبية والاجتماعية، انعقدت بينهما أواصر محبة وصدافة شديدة، وقد عبرا عنها من خلال إخوانياتهما الكثيرة. ولاشك أن شعراء اليهود كانوا في ذلك متأثرين بشعراء العربية؛ فهم كتبوا فيه على غرارهم، ونسجوا على منوالهم.

المحور الثاني:

أولاً: شعر الإخوانيات عند جماعة العازفين "כת הנוגנים":

حينما انتقل مركز الأدب العبري في الأندلس من الجنوب المسلم إلى الشمال المسيحي، كان هذا الغرض قد ثبت وترسّخ في الشعر العبري؛ ولم يحد شعراء إسبانيا المسيحية، بما فيهم "جماعة العازفين"، عن الأسس والثوابت التي أقرها الشعراء الأول في الأندلس قيد أنملة؛ حيث نظروا إليها على أنها قمة ازدهار الأدب العبري، وأن نهوض الأدب العبري وخروجه من حالة التذني التي يعيشها لن يكون إلا بالرجوع إلى الأشكال والأغراض والمضامين التي صاغها الشعراء الأندلسيون وفق النماذج العربية.

ومن هنا يمكن القول إن شعراء "جماعة العازفين" وأدبائها لم يكتبوا لمجرد الكتابة فقط، أو لمجرد التعبير عن النفس والمجتمع، وإنما كان هدفهم الأكبر هو النهوض بالأدب العبري مرة أخرى، والعودة به إلى سابق عهده في الأندلس؛ لذلك حرصوا أشد الحرص على أن يأتي انتاجهم موازياً في الشكل والمضمون لانتاج من سبقهم من الشعراء العبريين الأندلسيين.

ويعدّ "شعر الإخوانيات" من أبرز الفنون والأغراض الشعرية التي زهت وازدهرت في الأدب العبري في تلك الأونة، فإلى جانب كونه أحد أبرز الأغراض الشعرية الرئيسة؛ فقد كان لعلاقات الصداقة التي توطدت

جماعة العازفين "كت הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العربي الوسيط

بين "جماعة العازفين" أثرها البارز في ازدهار هذا الفن عمًا سواء؛ وهو بذلك يُظهر جوانب كثيرة من الجوانب الإنسانية والاجتماعية التي ربطت بين "جماعة العازفين"؛ هذا إلى جانب قيمته الأدبية والفنية بالطبع. وفيما يلي نقلني الضوء على أبرز شعراء هذه الجماعة، ونماذج مما تبادلوه من قصائد في الصداقة التي انعقدت بينهم.

(أ) شلومو دافيرا(1):

يُعد "شلومو دافيرا" من بين أبرز شعراء "جماعة العازفين" "כת הנוגנים"، بل ويعدّ هو مؤسسها الأول، وذلك بمبادرة من الراي بنبنست بن لافئ، على نحو ما مر. ويقسم الباحثون حياة دافيرا إلى ثلاثة مراحل: الأولى من عام ١٣٦٥ أو ١٣٧٠م وقد كانت تلك مرحلة التجربة والانتاج.

(1) شلومو دافيرا: شاعر يهودي وُلد حوالي سنة ١٣٤٠م أو ١٣٥٠م ومات حوالي ١٤٤٠م أو ١٤٢٥م. وهو حفيد الشاعر الأندلسي المعروف "مشولم بن شلومو دافيرا". عاش في سرقسطة شاعرا ومعلما لأسرة آل لافئ (دي كابلريا) الأثرياء، ولأجل أحدهم (الشاعر فيدال بن بنبنست) وضع كتابا في صناعة الشعر باسم "אמרי נואש" "مقولات قانط"، والذي يذكر في مقدمته أنه سيحوي أربعة أجزاء، لكن لم يصل منه سوى جزأين فقط، الأول: عبارة عن معجم للقوافي، والثاني: عبارة عن معجم للكلمات المترادفة. ولا يُعلم على وجه اليقين هل أتم الجزأين الباقيين أم لا. ويذكر بعض الباحثين أن دافيرا قد تنصر في أخريات أيامه، وهو ما نفاه جماعة أخرى من الباحثين؛ حيث ذهبوا إلى أنه ظل مستمسكا بيهوديته حتى وفاته. وقد قضى دافيرا عمره الطويل في هم، وفي ضيق من العيش؛ وهو الأمر الذي ترك أثرا جليًا على إنتاجه الشعري. جنبًا إلى جنب الحوادث التي ألمت باليهود في تلك الآونة، كجدل طرطوسة ١٤١٣م، ووباء قشتالة ١٤١٢م، وأحداث ١٣٩١م.

ينظر: (١) שמעון ברנשטיין, דיואן של שלמה בן משולם דאפירה, עמ' I. (٢) האנציקלופדיה העברית כללית, יהודית וארצישראלית, חברה להוצאת אנציקלופדיות בע"מ, ירושלים, תשי"ז, כרך 11, עמ' 515. (٣) היים בראדי, ר' שלמה דאפאירה דברים אחדים אדותיו ואדות ספריו עם תוצאות מספרו "שיר השירים", ברלין, תרנ"ג.

المرحلة الثانية من سنة ١٣٩٥م، وفي هذه الفترة أنشأ رابطة الشعراء "כתב הנוגנים"، وصنف خلالها أيضًا جزءًا كبيرًا من أشعار الصداقة التي أرسلها لأصدقائه في الرابطة، كما كانت تلك مرحلة ازدهار دافبيرا. المرحلة الثانية كانت صحوته بعد عزلته الأدبية التي حدثت بعد جدل طرطوسة^(١)، وتُعرف هذه المرحلة بمرحلة العودة والإحياء^(٢).

وينسب "شمعون برنشتين" لأشعار دافبيرا (خصوصًا إخوانياته) قيمة تاريخية كبيرة؛ حيث يُقدّم قائمة كبيرة بأسماء شخصيات يهودية معاصرة له، ويُضيف "برنشتين" أن دافبيرا لا يذكر هذه الشخصيات عرضًا، وإنما كل شخص عنده هو جزءٌ كاملٌ وحيٌّ في عالم المدوّن والمدوّنة. ولا يُمكن العثور عنده على قصيدة تُحلّق وحدها في الهواء، وإنما كل قصيدة عنده

(١) جدل طرطوسة "וייכוח טרטוסה": وهو أطول جدل دار بين اليهود والمسيحيين في العصور الوسطى، تم ما بين سنتي ١٤١٣ و ١٤١٤م في مدينة طرطوسة في كاتالونيا. وعلى نحو ما يبدو كانت بداية هذا الجدل مع ظهور الكتاب الذي وضعه اليهودي المنتصر هرونيمو دي سانتا بي (والذي كان يعرف قبل تنصره باسم يهوشع بن يوسف هالوركى) والذي حاول فيه أن يُثبت مسيحانية عيسى (عليه السلام) من مصادر يهودية. وفي سنة ١٤١٢م أصدر البابا بانديكوس الثالث عشر أمرا لجميع طوائف أراجون وكاتالونيا بضرورة إرسال ممثلين للجدل أمامه حول ادعاءات هرونيمو. وقد استمر هذا الجدل حوالي ٢٠ شهرا، على مدار ٦٩ جلسة. وقد أدار البابا نفسه هذا الجدل، واشترك فيه بشكل فعال. وتذكر المصادر العبرية إن هذا الجدل لم يكن نقاشا حرا بالمعنى المعتاد بين طرفين، وإنما كان عبارة عن عظة وهجمة مصحوبة بضغط نفسي لإكراه اليهود على قبول ادعاءات الطرف الآخر. ويعد كتاب "سبط يهودا" "שבט יהודה" لشلومو بن فرجا هو المصدر العبري الرئيس الذي يسرد وقائع هذا الجدل.

- האנציקלופדיה העברית כללית, יהודית וארצישראלית, כרך 18, עמ' 527.

(2) שמעון ברנשטיין, דיואן של שלמה בן משולם דאפיירה, עמ' II_V.

جماعة العازفين "كت הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العبري الوسيط

مُهَدَاة ومُرْسَلَةٌ لِشَخْصِيَّة مَعْلُومَةٌ، وَتُشَكِّلُ عِلَاقَةً فِكْرِيَّة بَيْنَهُمَا، وَتَعْبِيرًا عَنِ أَفْكَارٍ مُتَبَادِلَةٍ⁽¹⁾. وَمِنْ بَيْنِ تِلْكَ الشَّخْصِيَّاتِ:

(١) دُون فِيدَالِ يَوْسُفِ بْنِ لَافِي⁽²⁾:

يُعدُّ "دُون فِيدَالِ يَوْسُفِ" أَحَدَ أَعْضَاءِ "جَمَاعَةِ الْعَازِفِينَ" الْبَارَزِينَ، وَهُوَ ابْنُ "بَنْبِنَسْتِ بْنِ شَلُومُو" رَاعِي هَذِهِ الْجَمَاعَةِ الْأَوَّلِ، وَقَدْ رُبِّطَتْهُ عِلَاقَةٌ صِدَاقَةٌ شَدِيدَةٌ بِمَعْلَمِهِ دَافِييرَا دَاخِلَ إِطَارِ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ، مِمَّا جَعَلَهُمَا يَتَبَادَلَانِ الْقِصَائِدَ بَيْنَهُمَا؛ فَحِينَمَا غَادَرَ "دَافِييرَا" إِسْبَانِيَا، بَعَثَ فِيدَالٌ إِلَيْهِ بِقِصِيدَةٍ يَعْبرُ

(1) שם, עמ' IV, V.

(2) الشاعِر "دُون فِيدَالِ يَوْسُفِ بْنِ لَافِي بْنِ بَنْبِنَسْتِ السَّرْقَسْطِي" [وَهُوَ غَيْرُ دُونِ فِيدَالِ بَنْبِنَسْتِ، الَّذِي سَيَأْتِي ذِكْرُهُ لَاحِقًا، صَاحِبُ "مَلِيצَات لַפֶּר וְדִינָה" = مِثْلُ عَيْفَرِ وَدِينَةَ] كَانَ أَحَدَ تَلَامِيذِ الشَّاعِرِ الْكَبِيرِ شَلُومُو بْنِ مِشُولَمِ دَافِييرَا وَصَدِيقِهِ، وَذَاعَ صَيْتُهُ كَعَضْوِ بَارَزٍ فِي "جَمَاعَةِ الْعَازِفِينَ" "כַּת הַנוֹגְנִים" فِي مَدِينَتِهِ سَرْقَسْطَةَ. كَانَ سَلِيلَ أُسْرَةٍ يَهُودِيَّةٍ عَرِيقَةٍ. وَالِدُهُ هُوَ الرَّئِيسُ الْخَبَرُ بَنْبِنَسْتِ بْنِ شَلُومُو بْنِ لَافِي دِي لَآ كَبْلِيرِيَا (De La Cavalliea)، رَاعِي أَحْبَابِ التُّورَاةِ وَعَضُدِ الشُّعْرَاءِ، وَالَّذِي تُوْفِيَ سَنَةَ ١٤١٠م، وَحَزَنْتَ عَلَيْهِ الطَّائِفَةُ الْيَهُودِيَّةُ فِي إِسْبَانِيَا حَزْنًا شَدِيدًا... وَحِينَمَا اسْتَدْعَى الْخَبَرَ بَنْبِنَسْتِ "شَلُومُو دَافِييرَا" كَمَعْلَمٍ لِابْنِهِ "دُونِ فِيدَالِ يَوْسُفِ" كَانَ "دَافِييرَا" حِينَئِذٍ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَأَمَّا التَّلْمِيذُ فَلَمْ يَكُنْ يَتَجَاوِزُ الْخَامِسَةَ عَشْرَ. وَذَلِكَ لِأَنَّ دَافِييرَا عَلَى أَرْجَحِ التَّقْدِيرَاتِ قَدْ وُلِدَ سَنَةَ ١٣٤٠م أَوْ ١٣٥٠م، وَبِذَلِكَ يَكُونُ التَّلْمِيذُ مِنْ مَوَالِيدِ ١٣٦٥م أَوْ ١٣٧٥م. وَرَغْمَ فَرْقِ السِّنِّ بَيْنَ الْأَسْتَاذِ وَالتَّلْمِيذِ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ انْعَقَدَتْ بَيْنَهُمَا أَوَاصِرُ صِدَاقَةٍ شَدِيدَةٍ. وَكَانَا يَكْتَانُ لِبَعْضِهِمَا التَّقْدِيرَ وَالْإِعْجَابَ كَشَاعِرَيْنِ مَتَمِيزَيْنِ. وَكَأَحَدِ أَفْرَادِ جَمَاعَةِ الْعَازِفِينَ "כַּת הַנוֹגְנִים" فَقَدْ تَبَادَلُ دُونُ فِيدَالِ يَوْسُفِ الشُّعْرَ مَعَ مَعْلَمِهِ وَصَدِيقِهِ "دَافِييرَا" وَمَعَ غَيْرِهِ مِنْ أَعْضَاءِ الْجَمَاعَةِ. وَلَكِنْ لَمْ يَصِلْ مِنْ أَشْعَارِهِ سِوَى مَا أَدْخَلَهُ دَافِييرَا فِي دِيْوَانِهِ (وَهِيَ نَفْسُهَا الْقِصَائِدُ الَّتِي نَشَرَهَا بَرْنَشْطِينَ بِشَكْلِ مَفْصَلٍ). وَتَذَكَّرَ بَعْضُ الْمَوَاصِرِ أَنَّهُ تَنْصَرُ فِي أَخْرِيَّاتِ أَيَّامِهِ، وَأَنَّهُ مَاتَ نَصْرَانِيَا.

— שְׁמַעוֹן בְּרַנְשְׁטֵיין, שִׁירֵי דוֹן וִידְאָל יוֹסֵף בֶּן לִבְיָא עִפ"י כְּתָב־יָד אֶדְלֶר וְאוֹכְסְפוֹרְד, תְּרַבִּיז, הַמְכוּן לְמַדְעֵי הַיהוּדוּת ע"ש מְנַדֵּל, כְּרֵךְ חוֹבֵרֶת תְּמוּז, תְּרַצ"ז.
— שְׁמַעוֹן בְּרַנְשְׁטֵיין, דְּיוּאֵן שֶׁל שְׁלֵמָה בֶּן מִשׁוּלֵם דַּאֲפִירָה, עִמ' VIII.

فيها عن حبه وتقديره الشديد له⁽¹⁾، مما جعله يُعدّ قلمه ويهيأ آلات عزفه لينظم قصيدة لهذا الرجل، الذي أجبر بني لافئ من فرط علمه وأدبه- على الانحناء له والسجود أمامه؛ حيث يقول له:

לְחִזּוֹת יָפִי שֶׁר הָן אֶכּוֹנֵן בֵּן / קִסְתִּי וְכַנּוּרִי וְעִבְדִּי

גָּבַר בְּרֵב-פָּחוּ עָדֵי נִכְחוּ / יִלְכוּ לְהִשְׁתַּחֲוֹת בְּנֵי לְבִיא⁽²⁾.

لرؤية جمال الرئيس الشاعر اللطيف أعدّ / قلمي وربابتي ونايي

انتصر بقوته الشديدة حتى سار / نحوه أبناء لافئ ساجدين

فرد دافيرا على فيدال يوسف، بقصيدة على نفس الوزن والقافية، يذكر

فيها أن بني لافئ⁽³⁾، قد طلبوا منه أن يسوق إلى عرينهم هدية من الغنم؛

ولأنّه لا يملك شيئاً من حُطام الدُّنيا يُمكن أن يُشْبِع السَّبْع (لأن كلمة لביא

"لافئ" تعني بالعبرية: "السبع")، فقد بادر بتقديم أنغامه العذبة وأشعاره

الرقاقة الصافية بدلا من ذلك؛ حيث يقول:

בְּנֵי לְבִיא יִסִּיתוּן מִחֶשְׁבִּי / לְהוֹלִיד אֵל מְעוֹנֹו שִׁי וְלְבִיא

וְכִי אֵין דִּי בְּכָל-הוֹנֵי וְטוֹבֵי / וּבֶן-גְּרָנִי וְיֵינִי עִם חֻלְבֵי

(1) يذكر شمعون برنشتاين إن دافيرا قد كتبت شطراً كبيراً من قصائده لصديقه وتلميذه هذا. ويلاحظ أن معظم القصائد التي كتبها لأشخاص غير محددين هي في الغالب موجهة لدون فيدال يوسف. وقد شعر بذلك أنفا شتينشneider (الجزء ١٥ ص ٧٨). (Und (scheint manches ohne Namen sich auf ihn (Vidal) zu beziehen ويقدمه الشاعر كعالم وواعظ من النوع الممتاز وضيع في التوراة والفلسفة. وتلبية لرغبة أبيه بنينست ترجم فيدال يوسف من العبرية إلى الألمانية كتاب الأدوية "גרם המעלות". ومن المعلوم أنه لولا نوازل طرطوسة التي لحقت به، لكان هذا الابن الصغير الوريث الفكري الكامل لأبيه الأكبر.

- שמעון ברנשטיין, דיואן של שלמה בן משולם דאפירה, עמ' IX.

(2) שמעון ברנשטיין, שירי דון וידאל יוסף בן לביא... עמ' 8.

(3) تعني كلمة "לביא" "لافئ" بالعبرية "سبع / أسد".

جماعة العازفين "كت הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العبري الوسيط

להשביע לגור ארניה ולביא / הריצותי מליצתי וניבי

וזמרת ומחמדי כתבי / ושרעפי ומרשי לכתבי⁽¹⁾

أبناء لافئ يغون فكري / لأسوق إلى عرينهم شاة وسبعا

ولا يكفي جميع مالي وخيري / ومحصولي وخمري وشحمي

لإشباع أسد وسبع / فقدمت بلاغتي وحديثي

وترنيمي وأفضل كتاباتي / وخواطري وخلجات قلبي

كما نجد دافيرا يُرسل إلى فيدال يوسف قصيدة يُثني فيها على أشعاره، ويُشبّها بالآيائل التي تركض في حصن قائم حول مدينة الفصحاء والبلغاء؛ وكأنه بذلك حامي حمى الفصاحة والبيان؛ كما يُشبه فيدال يوسف بداود بن يسي حينما انتصر على أعدائه في وادي البسور⁽²⁾ وغنم منهم مغنم كثيرة، ولكن فيدال انتصر بعوده وقيثارته (وهذا كناية عن عذوبة أشعاره)؛ حيث يقول له في مطلعها:

בצורה, הידיד, על עיר מליצים / ירוצון יעלי נשירך בצורה

בצורה נעזרו חלק נללם / ככן ישי עלי נחל בשורה

בשורה נעצורה על צבאם / בענבה עלי נכל עצורה⁽³⁾

(1) שמעון ברנשטיין, דיואן של שלמה בן משולם דאפירה, עמ' 14.

(2) וادي البسور: وفقا لما جاء في قاموس الكتاب المقدس، هو وادي يقع جنوبي اليهودية عبره والجدول الذي كان فيه داود مع ٤٠٠ من رجاله (صموئيل الأول ٣٠/٩ - ٢١) وكان هذا الوادي يقع جنوبي صقلغ. وربما كان هو وادي غزة الذي تجري مياهه بالقرب من بئر سبع وتسير إلى البحر الأبيض المتوسط جنوبي غزة.

- نخبه من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ص ١٢١.

(3) ديوآن של שלמה בן משולם דאפירה, עמ' ١٨.

في حصنك، يا صديقي، على مدينة الفصحاء / تركض آيائل شعرك في

حصنك

في حصنك احتمت، قسّمها غنيمة، / كابن يسي^(١) على وادي البسور

بشروك وأوقفوك على جيشهم / بعودك مع فيثارتك

فرد عليه فيدال بقصيدةٍ على نفس الوزن والقافية، يذكر فيها محبته
لدافيرا، ويذكر أنه يحسد عصفوره المحبوس في بيته، ويتمنى لو كان
مكانه، وهو من شدة حبه له يرى محبسه مطلق الحرية، وهو يحبه من
أعماق قلبه، ولذلك فهو لا يريد أن يستبدله بغيره؛ حيث يقول له في مطلع
هذه القصيدة:

לְצַפּוֹר בֵּיתְךָ יוֹם יוֹם אֶקְנֶא / וּמִי יִתֵּן אֲנִי אֶהְיֶה דְרוֹרְךָ

דְרוֹרְךָ לֹא אֶבְקֶשׁ כִּי בְכָל-לֵב / אֶהַבְתִּיךָ וְאֵיכָכָה אֶמְיָרְךָ?^(٢)

أحسد عصفور بيتك كل يوم / ياليتني كنت عصفورك

لا أطلب العتق لأنني أحبك من أعماق قلبي / فكيف أستبدلك؟

(١) المقصود بابن يسي هو "داود بن يسي".

(٢) שמעון ברנשטיין, שירי דון וידאל יוסף בן לביא... עמ' 355.

(٢) دون فيدال بن بنبنست(1):

كما ربطته أوامر صداقة شديدة بدون فيدال بنبنست، والذي كان أحد "جماعة الشعراء"، وأحد مؤسسيها، وصاحب مقامة "مليخات لوفر وديנה" "مثل عوفر ودينة"؛ وقد تبادلوا القصائد في موضوعات مختلفة ومتنوعة، منها قصيدة يذكر دافيرا أنه نظمها في شبابه ردًا على قصيدة لدون فيدال كان قد بعثها إليه محذرًا إياه من الوباء(2).

(1) دون فيدال بنبنست: هو نسيب دون فيدال يوسف بن لافي، وابن عمه، وذلك على نحو ما يتضح من قصائده التي كتبها له. وقد كان "دون فيدال بنبنست" طبيبًا، ويذكر "متي هوس" في مقدمته لكتاب "مليخات لوفر وديנה" "مثل عوفر ودينة" أن هذا الإنتاج يحوي تفاصيل طبية كثيرة تدل على معرفة "فيدال" الطبية الواسعة. وقد كان أحد الشعراء المؤسسين لجماعة العازفين، وتبادل مع أعضائها الأشعار، أمثال: دافيرا، ودون فيدال يوسف بن لافي وغيرهم. ومن خلف دون فيدال بنبنست ديوانا شعريًا، يحوي ١٦٣ قصيدة، قامت "תרצה ורדי" بنشره مؤخرًا، ومثل عوفر ودينة "مليخات لوفر وديנה"، ورسالة فكاوية بعنوان "הלצה" بالاشتراك مع دون فيدال يوسف بن لافي. ويذكر "حاييم شيرمان" أن فيدال بن بنبنست: يختلف عن أصحابه بأنه كان شاعرًا حقيقيًا. فقد كان الوحيد من بين جميع "جماعة العازفين" في سرقسطة الذي نجح، في دائرة النظام الضيقة جدا التي تُحيطه، أن ينشأ شعراً متنوعاً ومرناً، ثرياً وموزوناً، لاذعاً ومستساعاً. كما كان هو الوحيد من بين جميع معاصريه الذي استطاع أن يتنوع في انتاجه وأن يحظى بشهرة واسعة في شتى أجناس الشعر التي كانت معروفة في الفرع العلماني للشعر العبري في الأندلس الكلاسيكية. كما أنه أيضًا هو الوحيد الذي أجهد نفسه، كما لو كان بحق أحد الشعراء الأندلسيين، في اختيار أوزان قصائده: فقوالب الوزن الأندلسية التي كانت حينئذ نسبيًا منسياً منذ أيام الحريري وربما أيضا من قبله، نجدها تطل علينا بشكل مفاجئ من خلال أشعاره: وفي جميعها، وحتى في أشدها تعقيدًا، يتصرف بمرونة وتؤدة، وذلك دون أن يكون لغرابتها أثر ملحوظ على أشعاره ينظر:

<https://he.wikipedia.org> -

- حיים شيرمان، השירה העברית בספרד הנוצרית, עמ' 605, 606.

(2) שמעון ברנשטיין, دیوان של שלמה בן משולם דافیירה, עמ' 23.

==

وقد شبه دافبيرا الوباء في هذه القصيدة بالبرق وبالنار، دلالةً على سرعة الانتشار، كما أثنى على مشورة دافبيرا، وأنها أمان وطمأنينة للمُصغين، وشر وبلاء للمُعرضين؛ فيقول:

כתב חזון במאמרות מליצה, / מליצה מה מאד זכה וצחה [...]
במועצות ודעת חק ומשפט / ומישרים דרכיה וארחה [...]
וחז מות ירוצץ כפרקים / ושוט נגף כאש בערה וקדחה
עצת שלום בטוב טעם תדבר / למקשיבים כרב הנשקט ובטחה [...]
ומקשה לב הלא יפל ברעה / לסכלותו ונבלותו כסוחה⁽¹⁾
اكتب نبوة بمقولات بلاغة، / بلاغة ما أصفها وأفصحها
بمشورات ومعرفة وقانون وحكم / وصدق سبلها وطرقها
وسهم الموت يركض كالبرق / وسوط الوباء كئثار اشتعلت واتقدت
نصيحة سلام تنطق بمسوغ حسن / للمنصتين بطمأنينة وفيرة وسكينة

==
المقصود بهذا الوباء هو الطاعون الأسود أو الموت الأسود "המוות השחור"، وهو أكثر الأوبئة التي عرفتها البشرية فتكا، وهو الذي أطلق عليه المؤرخون في الشرق والغرب اسم "الفناء الكبير" أو "الفصل الكبير"، والذي امتد أثره بحيث عم جميع أقاليم الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، وأنشأ مخالفه في جميع أجناس البشر، بل وامتد أثره حتى شمل أسماك البحر وطير السماء ووحش البحر، وقد أطلق عليه المؤرخون الموت الأسود "The Black Death" نظرا لظهور بقع سوداء على جسم المريض نتيجة لحدوث نزيف تحت الجلد، وقد راح ضحيته حوالي ٥٠% من السكان. (علي السيد علي محمود، الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي دراسة مقارنة بين الشرق والغرب، الجمعية التاريخية المصرية، مج ٣٣، ١٩٨٦م، ص ١٤٩ _ ١٥٠).
ولهذا الوباء حضور شديد في أدب تلك الفترة العبري، ولم تدرس بعد آثاره في الأدب العبري.

(١) שמעון ברנשטיין, דיואן של שלמה בן משולם דאפיירה, עמ' 24.
(٢) سامية محمد فرحات، الفن القصصي العبري في العصر الوسيط بلاغة عيفر ودينة
"دراسة تحليلية"، مجلة الدراسات الشرقية، ع ٥٣، ٢٠١٤م.

جماعة العازفين "كت النونونم" ودورها فف اءفاء الشعر العبرف الوسف

والمعرض فف ف الشر / لءماقته وءهله فف قءامة

وتذكر المصادر أن داففبرا أراء أن ففصب "دون ففءال فوسف" ءلففة له على إءارة الشعر؛ إلا أن ففءال فوسف كان قد قرر ترك مفءان الشعر واءءه نءو ءراسة الفلفة والعلم، مما ءءا بءاففبرا بأن ففصب بءلا منه "ففءال ببنبست"، وهو الأمر الءف أءار ءففة "ففءال ببنبست"، وءعله فرف على تلك المءولة بقصفءة "لشون مءءرء وفء ءوءءة" "لغة ءءءء وفء ءءء"، فءءب إلفه داففبرا قصفءة "فء شفر سلوءة لف" "فء الشعر مءوءة لف" (1)، والءف فقول ففها:

مف شم لراءش فوسف على فل شر ففء / عسو بموشلم موشلءه

[...]

بأنف مشءءففءو وشءءففءو ءمول / عل راءش فمفر ففر ففف وءسءرء

لءفوء لءفءل ففمفر أو ففءفر / الفسوء ففءموء ففءءرء

أولم ءبوفنءو ملاءءءو بءفءه / فمءبءه ءمفء فمءشءرء (2)

من ءعل فوسف رففس الرؤساء وفء/ قلمه ءءمءءءء وءلبء

فأنا مسءءه وءعلاءه البارءة / على رأس الشعر إءلفاء وءءبا وءاءا
لففون لءفءل الشعر أو قءس الأءءاس / الأساس والعموء وءاء العموء

لعل عقله مفز صنعءه (الشعر) / ءءءب واءءفال

ءم فءوءه فف نفس القصفءة إلى "دون ففءال ببنبست" وفعلاءه أمفرا
للشعراء، ففذكر أنه إذا ءلا الزمان من الشعراء المءفءفءن، فءف ففءال

(1) ءفم شفرمن، ءولءوء الشفره العبرفءة بسفرء النوزرفءة وبءروم ءرءءه، العره
36، عم' 590، وءهره 27، عم' 608.

(2) شمءون برنشاءففن، ءفوان سل سلمه بن مشولم ءاففرفه، عم' 30.

شاعرًا. ثم يسلمه الرأية، وخزانة الشعر التي كان مكلّفًا بحفظها، فليس ثمّ من يحفظها سواه؛ فيقول:

אם אָפּסוּ שָׂרֵי תְהִלּוֹת מִזְמַן / דֵּי כִי תְהִלְתּוּ בְדוֹר נְשָׂאֲרַת

הוא בעדי הפקיד בידך מלתחות / הנשיר היותו עמך משמרת⁽¹⁾

إذا فرغ الرؤساء المجلون من الزمان / فكفى بجلاله في هذا الجبل باقيا

فقد أودع عندي لك أمانة / الشعر [قائلا]: هو معك مصون

٣) الحاخام موشي عباس⁽²⁾:

وهو من شعراء "جماعة العازفين" "כת הנוגנים" الذين ارتبط معهم دافبيرا بعلاقات صداقة في إطار هذه الجماعة، وتبادلا خلالها القصائد والأشعار؛ حيث نجد دافبيرا يبعث إلى ابن عباس بمقطوعة شعرية يصفه فيها بصفات إلهية، لا تجوز إلا في ذات الله تعالى، حيث يرفعه فوق كل

(1) שם, עמ' 30.

(2) מושי בן עבאס "משה אבן עבאס": تاجر يهودي من مواليد طليطلة، انتقل إلى سرقسطة في سبعينيات القرن الرابع عشر الميلادي، وهو من تلامذة الحاخام شلومو بن حسداي الطليطلي. كان موشي بن عباس أحد ممثلي الطائفة اليهودية في جدل طرطوسة، كما توسّط بين الملك والطائفة اليهودية لإقراض البلاط الملكي ٢٢ ألفاً من الذهب سنة ١٣٨٤م. ونجح سنة ١٤٠٩م في إلغاء بعض القرارات الملكية ضد اليهود، وفي سنة ١٤١٣م عينه الملك فيرناندو الأول مع "بونفيس دي لا كابلريا" أخو الرابي بنبنست بن لافئ في اللجنة الثلاثية لتحديد الضرائب وجبايتها من الطائفة اليهودية. ولم يصل من "موشي بن عباس" سوى ثلاثة قصائد أدرجها دافبيرا في ديوانه، وهي (٢٨، ٣٠، ٣٢).

ينظر:

أ _ יצחק בער, קורות היהודים בספרד הנוצרית, עמ' 326.

ב _ שמעון ברנשטיין, דיואן של שלמה בן משולם דאפיירה, עמ' XI.

جماعة العازفين "כת הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العربي الوسيط

إله⁽¹⁾، ويصف قلمه برب الأرباب "أدوني האדונים" وشعره بإله الآلهة "אלוהי האלוהים"؛ حيث يقول:

לזאת אקום להודות לך בכל-עז / הכי גדול שמך על כל-אלהים

אמת עטך אדני האדנים / ושירך הוא אלהי האלהים⁽²⁾

لذا أقوم وأشكرك بما أوتيت من قوة / لأن ذكرك أكبر من كل إله

حقًا! قلمك رب الأرباب / وشعرك هو إله الآلهة

وكتب له مقطوعة أخرى، يمدح فيها أشعاره، ويذكر أن قلبه يهتز طربًا حينما يسمعها، كما يهتز الناي والصنجان. ثم يرمز إلى اسمه "فبير" (التي تعني حجر) واسم صاحبه عباس (التي تعني بالعبرية: أسد)؛ فيقول:

מקול המון זמרת לבבך יהמה / לבי כמו חליל וכמצלמים

לבי, אמת, לב גור ולב אבן, אכל / לבך בלב הים ולב שמים⁽³⁾

من صوت خلجات ترنيم قلبك يهتز / قلبي كناي وكخلجل

قلبي، حقًا، قلب شبل وقلب حجر، لكن / قلبك كقلب البحر وقلب السماء. فيرد عليه ابن عباس بمقطوعة يصفه فيها بأنه أشعر شعراء اليهود، ويشبّهه بالسحاب في علياء السماء، وبالبلبل الذي يقف على الزهرة. ويذكر أن هذه التشبيهات خالصة من القلب، ليس فيها شبهة نفاق أو رياء، كي يردّ عليه بمثلها. حيث يقول له:

לך הנשר בישראל, וגדול / כרום שחק, זמיר על ראש כרובי

בלב ולב לעולם לא אומר / ופן יאמר זמירך יענה בי⁽⁴⁾

لك الشعر في بني إسرائيل، وعظيم / كالسحاب العالي، بلبل على رأس

كروبي

(1) لعله يقصد فوق كل شاعر.

(2) שמעון ברנשטיין, דיואן של שלמה בן משולם דאפירה,, עמ' 37.

(3) שם, עמ' 37.

(4) שם, עמ' 38.

لن أقول الشعر نفاقاً / ولئلا يُقال شعرك جواب عليّ
فردّ عليه دافبير بأن شعره هو الأقوي، فلا تحتمله الأكباد ولا الأفئدة ولا
العقول، ومن شدة قوته يشبّهه بالسباع الضارية، التي لا تستكف عن
افتراس فرائسها في الشوارع؛ فيقول:

חסר לב שירך, עוזק פליות / ולב כל נר ונצר מחשבות
והוא טורף כפיר וזאב ערבות / וגונב לב ארי בין הרחובות⁽¹⁾
شعرك بلا قلب، يظلم حتى الأكباد، / وقلب كل شاعر وغريزة الأفكار
ويفترس الشبل والسبع الضاري / ويسرق فؤاد السبع في الشوارع
فيرد عليه ابن عباس بمقطوعة يصفه في مطلعها بأنه جواد الشعر، يُنفق
الشعر بدلاً من الأموال والخيرات:

נדיב לבות, בני השיר מפזר / מקום כסף וטוב ארץ וחלב⁽²⁾
جواد الشعر، ينفق بنات الشعر / بدلاً من المال وخيرات الأرض والشحم
فرد عليه دافبيرا بأنه إذا كان نبيلًا أو كريمًا فهذا من فضل خيره
وإحسانه، وأن مجده موصول بمجده، فكيف يدعى كريمًا أو سخيًا من يُعطي
إحسان الغير للسائلين؟ إذ الأصل أن وجود الإنسان بماله لا بمال غيره؛
فيقول:

אני שזע ונדיב מן רכושך / ומעבות גדלך עושה גדילים
הקרא נדיב לב אז מפזר / אשר ימן יקר בלתו לשואלים?⁽³⁾
أنا نبيل وكريم من ثروتك / وبحبال عظمتك أصنع أكاليل

(1) שמעון ברנשטין, דיואן של שלמה בן משולם דאפיירה, עמ' 38.

(2) שם, שם.

(3) שם, עמ' 39.

جماعة العازفين "كت הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العبري الوسيط

أُدعى جَوَادًا أو سَخِيًّا / الذي يُعطي مجد غيره للساثلين؟

فيرد عليه دافيرا بقصيدة، يقول له في مطلعها إن قلبه كان في عداد الأموات، وبفضل شعره دبَّت فيه الرُّوح والحياة من جديد. وأنه يناهز السموات العلى في رفعته، والأرض والبحار عرضًا وطولًا. وأن رأس برج التنين تحت قدمه، وأنه يجلس هناك كما يجلس الملك على عرشه:

כִּמְת מְלֶבֶת זְמִירֵי הַחַיָּהוּ / לְבַב נְשִׁירָךְ כְּגִדְלֵ לֵב כִּיּוֹם בְּאֵ

וּמַגְלָגֵל עֶרְבוֹת רוּם לְכַבּוֹ / וּמֵאֲרִיז וְיָם אֲרָכּוֹ וְרַחְבּוֹ

וְגִבְהַ רֵאשׁ תְּלִי תַחַת זִנְבּוֹ / וְנֶשֶׁם יוֹשֵׁב כְּמֶלֶךְ עַל מִסְבּוֹ⁽¹⁾

كَمِيت القلب شعري، أحياء / قلب شعرك بأنفة يوم مجيئه

ومن السماء السابعة علو قلبه / ومن البحر طوله وعرضه

وأعلى رأس التنين تحت ذنبه / وهناك يجلس كالملك على كرسي عرشه

٤) دون منير الجواديس الطليطي:

وهو من الشخصيات البارزة في الطائفة اليهودية في طليطلة، وهو أحد أبرز الداعمين والمشجعين لرابطة الشعراء "كت نוגנים" في طليطلة؛ حيث كان الحاخام الأكبر في مملكة كاستيليا (قشتالة)، كما كان طبيبًا ومنجمًا للملك إنريكي الثالث (١٣٧٩ _ ١٤٠٦م) ملك قشتالة. وهو مترجم كتاب الأخلاق لأرسطو، تحت عنوان "ספר המדות"⁽²⁾.

(1) שמעון ברנשטיין, دیوان של שלמה בן משולם דאפירה, עמ' 40.

(2) ينظر: (1) חיים בן יוסף מיכל, אוצרות חיים "כולל הוספות ותיקונים הרבה והעתקות מקצת כ"י עם הערות מאת החכם החוקר משה שטיינשניידר", האמבורג, נדפס אצל נחום ב"ר יוסף האלבערשטארט, תר"ח, עמ' 339. (2) יצחק בער לעוויןזאהן, ספר תעודה בישראל כולל גדרי התורה והחכמה עם הערות מועילות וטובות בדרך ארץ, בדפוס המשותפים ווילנא והוראדנא, 1828, עמ' 144.

وعلى وفق ما يتضح من كلام دافبيرا فإن ابن الجواديس كان شاعرا (وإن كان مقللاً)، وعليه يمكن القول بأن دوره لم يقف عند حد تشجيع الرابطة فقط، وإنما تعدى ليكون له دور فعال بداخلها؛ فحينما أصاب دافبيير سقم في أسنانه، أرسل إليه ابن الجواديس قصيدة يتندر فيها به، وبأن له أسنان السباع وأنياب اللبوث⁽¹⁾؛ لكنه ردَّ عليه بقصيدة يقول له في مطلعها:

תמים דעים ונטע שעשועים⁽²⁾ / יליד שָׁרִים, וְשָׂר שָׁרִים וְשׁוּעִים

נְקִי כַף סָף, אֱלֹהִים צָר לְכַבֵּד / כָּלֵב שֶׁסָּק וְחָמַר הָרְקִיעִים

וְצוּרוֹת הַיְצוּרוֹת מְמַאֲרוֹת / הַתְּחַרְדָּה לְחַבּוּרוֹת פְּצָעִים?

לְזֹאת לְפָדָה כָּלֵב לְבִיא וְלִישׁ / לְכַלְכֵּל מַחְלַת אַחִים וְרַעִים⁽³⁾

سليم الطوية و غرس اللذة / سليل الروؤساء، ورئيس الرؤساء والنبلاء

طاهر اليد نقي، خلق الرب قلبك / كقلب السحاب ومادة السماوات

وصور الخلائق خبيثة / أتخشى تضמיד الجراح؟

لهذا قلبك كقلب سبع وليث / ليتعهد مرض الإخوان والأصدقاء

وأرسل لدافبييرا قصيدة جديدة، ومعها بطيخة عظيمة وسقاء خمر، فردَّ عليه دافبييرا ببيتين يُنتي فيهما على القصيدة وعلى الهدية، ويُضاهيها بالمن والبطيخ البري الذي اقتات عليه بنو إسرائيل أثناء خروجهم من مصر؛ حيث يقول:

מה טוב ונעים שי זמיר שיחדך / עם טוב תשורתך ויין רקחדך

(1) ولم يورد دافبييرا من هذه القصيدة شيئاً في ديوانه.

(2) اقتباس من إشعيا ٥ / ٧. و "נטע שעשועים = غرس اللذة" كناية عن الشخص المبجل والمحبوب.

(3) שמעון ברנשטיין, دیوان של שלמה בן משולם דאפיררה, עמ' 46.

جماعة العازفين "كت הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العبري الوسيط

צדקו קדומינו אשר קצו במן / אלו בנוף היו אבטיחך⁽¹⁾

ما أطيّب هدية شعرك وما أجملها / مع هبتك وخمرك الممزوج

صدق أسلافنا الذين اقتاتوا بالمن / والبطيخ الطبيعي

وحيثما جار الزمان على دون مثير، ونزلت به النوازل؛ وتأخر دافيرا في تعزيتة ومواساته؛ كتب إليه قصيدة من ثمانية عشر بيتاً (ولم يورد منها دافيرا شيئاً)، معاتباً إياه فيها على عدم مواساته وتعزيتة في تلك المحنة، التي لا يُعرف عنها شيء. فرد عليه دافيرا بقصيدة اعتذار، يوضح له فيها الأسباب التي جعلته يتأخر في تعزيتة ومواساته، والوقوف بجواره في محنته. وقد تذرّع دافيرا بمصائب الزمان ونوائب الدهر التي حاقت به، والتي أُلجأته إلى الصمت والبعد عن نظم الشعر؛ حيث يقول في مطلع تلك القصيدة:

לבי בקרבי יצלה נקלה, מלא נקלה, כמו גולה בראש מלכות

אגמון ומחסום עצבוני שם בפי, / ולשון זמיר מדבק אלי מלכות

הלכו בלא פח רגני בשבי, / לא יחלו לדרר ולפקח קום

בידי ילידי יום משלי נלכדו / וביד יגונים נלקחו לקום⁽²⁾

قلبي في جوفي يتألم مريضا /، خزيانا، كالمئوي في مقدمة الغنيمة

لذت بالصمت من شدة الغم/ والتصق شعري بحنكي

ذهبت قصائدي في النفي مرغمة / فلم تأمل في العتق والحرية

أسر الصغار أمثالي / وأخذتها الأتراح أخذا

(1) שמעון ברנשטין, דיואן של שלמה בן משולם דאפיירה, עמ' 46.

(2) שם, עמ' 46.

ب) دون فيدال يوسف بن لافي:

مر أنفا الحديث عن "فيدال بنبنست"، وأنه كان من بين أبرز شعراء جماعة العازفين "כת הנוגנים"، وربطته بشعراء هذه الجماعة علاقات صداقة شديدة، وقد تبادل في إطار هذه الصداقة كثير من قصائد الإخوانيات ذات المضامين المختلفة. وفيما يلي أبرز هؤلاء الشعراء:

١) لشلومو بن مشولم ديفيرا:

ففي مقطوعة يوجهها دون فيدال لدافيرا بعنوان "רוח זמירות" "روح التراتيل" يثني فيها على دافيرا، وعلى أشعاره، ثناءً حسناً. ويُبالغ في الوصف حينما يُشَبِّه دافيرا بالبحر، الذي تستمد منه أنهار الشعر والغناء مياهها، والتي ما تلبث أن تدور وتعود إليه مرة أخرى. ويقر لدافيرا بالفضل، ويعترف له بالسبق في ميدان الشعر. ويُشبه بالطفل الرضيع الذي لا يزال ينهل من أشعاره حتى استوى على سوقه، وهو مهما بلغ في صنعة الشعر فهو فطيمه. ثم يطلب أن يظل ثابتاً بلا خوف ولا وجل لأن "جماعة العازفين" بأسرها تعضده وتآزره. كما يطلب منه ألا يكف عن نظم الشعر؛ حيث يقول له:

דְּמָה לְבָבְךָ יָם וּמַשָּׁם אֲמַשְׁכָּה / נַחֲלֵי זְמִיר וּסוֹכְבוּ אֵלַיךָ
עַל כֵּן לְבָבִי יַעֲלֶז כִּי הוּא כָבוֹן / יוֹנֵק שְׂדֵי שִׁירְךָ וְכִגְמוֹלְךָ [...]
שְׁלוֹם לְךָ אֵל תִּחַרְד כִּי יָד אָבִי / כָּל נוֹגְנִים אֲתָךְ לְהַשְׁכִּילְךָ
וּמְשׁוֹל מְשָׁלֶיךָ וְחֹד חִידָתְךָ / וְעֵשָׂה כְּצַבָּאוֹת שִׁיר בְּמַשְׁאֵלֶיךָ

جماعة العازفين "كت הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العبري الوسيط

כי מִפְּאֵת יְקָרַת נְשָׁלְמָה הַגְּבִיר / רוּחַ זְמִירוֹת נוֹסְסָה עֲלֵיךָ⁽¹⁾
قلبك مثل البحر ومن هناك / تستمد أنهار الغناء ثم تدور إليك
لذلك يسعد قلبي لأنه كالطفل / يرضع ثدي شعرك وكمفطومك [...]]
سلام عليك لا تخف ياسيدي / لأن يد جميع العازفين معك تعضدك
واضرب أمثالك وأغز بأحاجيك / واصنع جيوشا من النظم حين تُسئَلُ
لأنه بسبب منزلة شلومو الرئيس / روح التراتيل سطعت عليك
وحينما اعتزل دافبيرا الحياة الأدبية، وانقطع عنها مدة من الزمن
لأسباب غير معلومة على وجه التحديد، توجه إليه دون فيدال بقصيدة يتحسّر
فيها على هذا الانقطاع، ويخبره أن شعر الإخوانيات بعده في فزع (وآلات
العزف) في خوف، وكأنه هو مصدر أمنها وأمانها. ومن شدة حزنه، يتساءل
كيف سينظم شعراء (جماعة العازفين) الشعر بعده، فهم بعده كالعصافير التي
وقعت في النار فهي تنقلب في اللهب، وهو كناية عن شدة افتقارهم له. ولا
يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن الأفكار تضح وتضطرب، لأنها كانت واقعة
تحت إمرته وسلطانه، وهو كناية عن مدى أثره فيهم وفي أفكارهم؛ كما أنه
هو الذي كان يُعطي هذه الأفكار بريقها ولمعانها وبذهايه ذهب حسنها
وجمالها وأصبحت كالأغنام الضالة؛ حيث يقول:

שִׁיר יְדִידוֹת לְבַשׁ בְּנוֹדֵךְ רְעָדוֹת / וְעֲלָמוֹת שִׁירֵי יְדוּתוֹן תְּרָדוֹת
אֵיךְ יִשְׁירוּן נוֹגְנִים בְּקֶרֶב יְגוֹנִים / אוּ יְנוּחוּן טוּחוֹת בְּתוֹךְ אֵשׁ פְּלָדוֹת [...]]
بِكَمَامَات يَمُومَات مَزَمَات بَأَيَمَات / كِي بَرَشَتוֹת פְּחֵי נְדוּדֵךְ לְכוּדוֹת

(1) תרצה ורדי, שירי דון וידאל בבכנשת, (نسخة إلكترونية من الديوان على موقع: <https://benyehuda.org/read/3436> آخر دخول: ٢٥ / ٥ / ٢٠٢٠م الساعة ١٠ : ٥٨ صباحًا.

ךָ יִקְרָן וְיִצְבִּי הַדָּרָן וְהוֹדֵן / כִּי בְטִשְׁתָּן הָיָה כְּצֶאֱן יִיבְדוֹת (1)

ليس شعر الصداقة بعدك رعدات / وآلات أشعار "يدوتون" (٢) فزعة
ككيف ينشد العازفون داخل الأحزان / أو كيف تهناً العصافير في لهيب
النار

كهدير البحر تصطخب الأفكار في هول / لأنها في شباك فخاخ ترحالك
واقعة / مقبوضة

تدنى عزها وحسنها ومجدها / لأنك هجرتها [فأصبحت] كالأغنام
ضائعة/ سائبة

٢) لدون فيدال يوسف بن لفيء:

كما ربطته أواصر صداقة شديدة بدون فيدال يوسف بن لفيء (ابن عمه،
وصهره، وأحد أعضاء جماعة العازفين). وقد بدأ دون فيدال يوسف هذا
حياته شاعراً، ولكنه كان أميل إلى الفلسفة، مما دفعه لأن يُنحي الشعر جانباً،
ويتجه إلى جانب الفلسفة (3).

(1) תרצה ורדי, שירי דון וידאל בבבנשת: <https://benyehuda.org/read/5918>

آخر دخول: ٢٩ / ٥ / ٢٠٢٠م الساعة: ١١ : ٢٢ صباحاً.

(٢) ידוֹתוֹן: اسم عبري معناه "حامد، مسبح". وهو: لاوي، وأحد المرنمين أو
الموسيقيين الثلاثة الكبار الذين عيّنهم داود، ومؤسس عائلة موسيقية للعبادة في الهيكل
(أخبار الأيام الأول ١٦ / ٤١ و ١٥ و ١ و ٦).

- نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص، قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠٥٨.

(3) وقد كان لهذا الأمر أثره السيء على علاقة فيدال يوسف بشلومو دافيرا؛ وذلك لأن
دافيرا كان قد نصبه "أميراً للشعر العبري"؛ وقد أثار هجر فيدال يوسف للشعر سخط
دافيرا عليه، وألجأه لأن يُنصّب بدلاً منه ابن عمه "فيدال بنبنست" أميراً للشعر العبري.
وقد وضع فيدال يوسف مصنفًا يناقح فيه عن التلمود، واشترك في جدل طرطوسة ممثلاً
عن اليهود. وقد تنصر في أواخر أيامه، وسمى نفسه باسم "جونسالو".

جماعة العازفين "كت הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العبري الوسيط

ويذكر "حاييم شيرمان" أن الصديقان قد تبادلوا القصائد حول موضوعات متنوعة، ومدحا بعضهما مديحًا وصل إلى حدِّ المُبالغة (1). وبشكلٍ واضحٍ للغاية، تنعكس شخصية يوسف بن لافيء من خلال أشعار الصداقة الكثيرة التي نظمها فيه فيدال بنبنست. وقد نظر فيدال إلى يوسف بإجلالٍ وتقدير، وعبر عن حبه الشديد له من خلال نصوص كثيرة مفعمة بالأحاسيس والمشاعر (2)؛ ففي قصيدة (بنوت שירי-רבّات شعري) نجد ربّات شعره (كناية عن الإلهام والوحي الشعري) تبحث بين أصحابه عمّن يستحق حسننها وجمالها، ومن هو جدير بزینتها وحليها، ومن هو خليق بسحرها وجاذبيتها، فلم يجد سوى يوسف "منبع الحكمة ومعينها"؛ حيث يقول:

בנות שירי לדודים מאונין / למי זה יתנו צבין ויפין

למי זה תשקו בבני עליה / ומי ישא פאר נזמן וחקלן

ומי ימשיש בחקלקת צנארונן / ומי נשק ברקמן ולחן

ומי משה בחות חן לבביהן / הלא יוסף מקור בינות ומעין (3)

ربّات شعري تشتهي الأصحاب / من ذا الذي ستمنح حسننها وجمالها

من ذا الذي عشقت من علية القوم / ومن سيحمل زينة خزامها وحليها

==
- חיים שירמן, תולדות השירה העברית בספרד הנוצרית ובדרום צרפת, עמ' 604.

(1) חיים שירמן, תולדות השירה העברית בספרד הנוצרית ובדרום צרפת, עמ' 604.

(2) שם, שם.

(3) תרצה ורדי, שירי דון וידאל בנבנשת: <https://benyehuda.org/read/2283>

آخر دخول: ۲۲/۳ / ۲۰۲۰م، الساعة ۵: ۳۲ مساء.

ومن ذا الذي سيتحسس نعومة جيدها / ومن ذا الذي سيلثم عقيقتها

ووجنتها

ومن ذا الذي سيجذب بمسحة من الجمال قلوبها / غير يوسف منبع

الحكمة ومعينها

وفي قصيدة أخرى يوجهها فيدال ليوسف يُثني عليه فيها بالنبوغ في الفلسفة (أو الحكمة، كما يُسميها) وفي التلمود، كما يُثني عليه بالنباهة في تقليب الأمور على وجوها الصحيحة، واستنباط الأحكام والنتائج؛ ولأنه يتصف بهذه الخلال القويمية، فقد ازدان الزمان به، وبأفعاله الجليلة، وأكمل به عوزه ونقصه؛ كما هذب ردوده (كناية عن عذوبة كلامه) بنبوغ صفاته وبأخلاقه المستقيمة؛ ولهذا تعلق به وارتبطت به نفسه؛ حيث يقول:

יהוסף מחננות בינות מאסף / ובהם יעשה שבעה חקירות

בגד שכלו צפוני בין יחפש / ונגלו לו כקלות כחמורות

והשלים בו זמנו מחסורו / בתם מעשים ובפעולות ברוכות

ותקן את מענותיו בכשרון / תכונותיו ומדותיו ישרות

ועל כן נקשרה נפשי בנפשו / וטווחתי בלין חשקו שכורות^(١)

يهوسف يحشد مضارب الحكمة / ثم يستجوبها الاستجابات السبعة^(٢)

(١) תרצה ורדי, שירי דון וידאל בבבנשת: <https://benyehuda.org/read/4803>

آخر دخول ٢٥ / ١٢ / ٢٠٢٠م. الساعة ١١ مساء.

(٢) الاستجابات السبعة "سبعة حקירות": من أحكام استجواب الشهود؛ حيث يسأل الشهود الذين يستجوبون على حادث قد وقع سبعة أسئلة أساسية: ستة عن الزمن؛ بأي أسبوع (شميطا _ سنة التبوير _ من اليوبيل) كان الأمر، وفي أي سنة للشميطا، وبأي شهر، وفي أي تاريخ في الشهر، وفي أي يوم في الأسبوع، وفي أي ساعة. وسؤال سابع موضوعه: في أي مكان.

جماعة العازفين "كت הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العبري الوسيط

بنور عقله يستقصي خفايا الفطنة / فينكشف له حقيرها وجليلها
فأكمل به زمانه نقصه / بالأعمال البارة والأفعال المباركة
وهذب أجوبته بنبوغ / سجاياه وأخلاقه مستقيمة
ولذلك ارتبطت نفسي بنفسه / وثلمت أحشائي بخرم عشقه
وكتب لشلومو دافييرا ويوسف بن لافيء واصفًا الأول بالنبوغ في الفلسفة
والثاني بالنبوغ في نظم الشعر، وأنه لم يجد لهما مثيلا بين البشر؛ ولذلك فهو
لا يتحرج في أن يُعطي روحه ونفسه لديفييرا ولحمه وثيابه ليوسف. وهذا
كناية عن مبلغ تقديره وإعزازه لهما؛ حيث يقول:

שָׁנִים הֵם וּבְמִין הָאֲנוּשִׁי / עֵדִין לֹא מִצָּאָה נַפְשִׁי שְׁלִישִׁי
כָּרַב חֲכָמָה וְכָבוֹד וְעִנְיָה / יְהוֹסֵף מִחֲמַד לְבִי וְנַפְשִׁי
וּבְמִירוֹת שְׁלֹמֹה בֶן מִשְׁלָם / אֲשֶׁר שִׁירָיו וּמִאֲמָרָיו כְּדָבָרִי
לְיֹסֵף אֶתְנֶנָּה רוּחִי וְנַפְשִׁי / וְלְשְׁלֹמֹה שְׂאֵרֵי עִם לְבוּשִׁי⁽¹⁾
اثان هما وفي الجنس البشري / لازالت نفسي لم تجد ثالثا
بوفرة الحكمة والجلال والتواضع / يهوسف مهجة قلبي ونفسي
وبالقصائد شلومو بن مشولم / الذي أشعاره ومقالاته كالعسل
ليوسف أعطي روحي ونفسي / وشلومو لحمي وثيابي

==
_ عادين شتينزلتس، معجم المصطلحات التلمودية، ترجمة: د. مصطفى عبد المعبود،
مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية، ع (١٩)،
ص ٢٤٤.

(1) ترضاه وردى، شيري دون ويدال ببنشنت: <https://benyehuda.org/read/5657>
آخر دخول: ٢٥ / ١٢ / ٢٠٢٠ م. الساعة ١١ مساء.

٣) لطبيب صديقه يُدعى "أبرام":

وكتب لصديق له يُدعى "أبرام"، وكان قد بدأ في مزاوله مهنة الطب، مهنتنا إياه، ومادحًا بالعلم الغزير والوفير؛ ويُبيِّن المرضى الذين سيروون من علاّتهم على يديه عما قريب، وسيجدون راحة وسكينة لآلامهم وأوجاعهم على يديه؛ حيث يقول له:

לחולי הזמן זה יום בשורה / להצמיח ארוכתם מהרה [...]
ומרגע לכל נחלה כאלו / ארוכה על פני היקום מזורה [...]
הכי קם בזמן אכרם לרופא / ברב בינה הכינה גם חקרה
והיתה המבונה לו למקנה / מכורה לו ולא ימשל למכרה⁽¹⁾
בשרי למרזי הזמן / سريعًا ستبرأ أسقامهم
وسكينة لكل مريض كما لو / أن شفاء على وجه العالم منبسطة
حقا بزغ نور أبرام طبيبا / بعلم غزير هياها واستقصاه
فكانت الفطنة له ثروة / حيزت له (وليس له سلطان أن يبيعهها)
٤) للرابي "موشي جبאי"⁽²⁾:

(1) תרצה ורדי, שירי דון וידאל בנבנשת: <https://benyehuda.org/read/1597>

آخر دخول ٢٧ / ٥ / ٢٠٢٠م الساعة ١١ صباحا.

(2) מושי גבאי "משה גבאי": شاعر وفقه يهودي، عاش في إسبانيا المسيحية، وانتقل في فترة حوادث سنة ١٣٩١م من ميورقه (موطنه) إلى شمالي إفريقيا، وعاش في طائفة هونين (Honain). وقد سمح له الملك خوان الأول سنة ١٣٩٤م بالعودة إلى إسبانيا ويُسافر منها شمالاً أو كما يشاء، ثم عاد بعد ذلك بفترة قصيرة إلى المغرب كمبعوث من قبل الملك. وبعد أن أمضى بضع سنوات في الأندلس (وكان قد ترك زوجته وابنه في المغرب) ضاقت نفسه زرعاً من حمل أُنقَالَ حياة يهود أراجون وقشتالة، ووافق أن يعود مرة أخرى إلى المغرب ليقيم هناك بشكل دائم.

שמעון ברנשטיין, דיואן של שלמה בן משולם דאפיירה, עמ' XIII .

جماعة العازفين "كت הנוגנים" ودورها في إحياء الشعر العبري الوسيط

وقد كان "موشى جبای" ممن ينتمون إلى "جماعة العازفين"، وممن ارتبط بأعضائها بعُرى وثيقة؛ وفي فترة حوادث ١٣٩١م^(١) انتقل إلى المغرب؛ ثم عاد بعدها إلى الأندلس مرة أخرى، واستقبله فيدال بقصيدة ترحيب، ويصفه فيها بالنجم الساطع، الذي هَلَّ عليهم من ناحية الشرق، فأضاء حياتهم المظلمة المكفهرة؛ كما وصفه بالمجد والعزة والجلال، وبالفراس الذي شد عضد إخوانه وهدأ من روع أصحابه؛ حيث يقول له:

מפאתי מזורח זמן הנייע / כוכב ולפאת מערב הופיע

מהררי פארן ינופה הזמן / כבוד פארצנו יקר השפיע [...]

הוא הגביר משה אשר האיר פני / דודיו ולבות אזקבו הרגיע^(٢)

من ناحية الشرق حرَّك الزمن / كوكبًا، وفي ناحية المغرب ظهر

من جبال فاران نثر الزمان / مجدا في أرضنا، وفاض جلالا [...]

هو البطل موسى الذي أثار وجه / أصحابه، وطمان أفئدة أحبابه

^(١) وهي مجموعة من المظاهرات والاحتجاجات الشعبية المسيحية ضد ممارسات اليهود في الدولة، نتيجة لاستحواذهم على المناصب المهمة في البلاط الملكي، وتملكهم الأعمال المهنية والحرفية في البلاد، وسيطرتهم على النشاط التجاري والمالي، وتدخلهم في المراكز الحيوية بالدولة الخاصة بالمسيحيين، إلى جانب استخدامهم الربا والرشوة في المجتمع، حيث ظهروا بشكل المتفوق على المسيحي، ولهذا فقد أصدرت الحكومة ضدهم أحكاما إما بالموت أو الصلب، ومن ثم بدأت تنشأ في البلاد موجة من أعمال العنف، نتج عنها قتل وإصابة كثير من اليهود مما أدى إلى تنصر أعداد كبيرة من اليهود.

- هدى درويش، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس دراسة عن يهود المارنواس، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ١٩.

^(٢) תרצה ורדי, שירי דון וידאל כנבנשת: <https://benyehuda.org/read/6372>

آخر دخول: ٢٧ / ٥ / ٢٠٢٠. الساعة ٩ صباحا.

وأرسل إليه أحد أصدقائه قنينة خمر صغيرة، فكتب إليه قائلاً أنه يشتهي خمره، وأن القنينة التي أرسلها إليه لن تروي نهمه وعطشه؛ وأنه شرب وكأنه لم يشرب، لأن القنينة في حجم الكأس الواحد؛ حيث يقول له:

צָמָא לַיִן רַקְקָה לָךְ יוֹדִיעַ / כִּי אֵין מְלֵא קִמְצָא אֶרֶי מִשְׁבִּיעַ

שָׁתָה כִּלְאָ שָׁתָה וְאַתָּה תִּקְוֶה / כִּי הָאִשִּׁישָׁה דְּמַתָּה גְּבִיעַ⁽¹⁾

ظمان لخمرك المعطر وأنت تعلم / أن ملء حفنة الأسد لا تشبع

شرب كأن لم يشرب وأنت ترى / أن القنينة تشبه الكأس

ولا تكاد تخلو قصيدة عند فيدال بنبنست من أن تكون موجهة إلى صديق من أصدقائه، أو يتم التأكيد بداخلها بشكل من الأشكال على قيمة الصداقة والصحبة الحسنة. وهذا الأمر مما يحتاج إلى دراسة موسعة عند فيدال، إذ يمكن بحق أن نعهده شاعر الصداقة العبري الأول.

(1) ترצה وردي، شירי דון וידאל בנבנשת: <https://benyehuda.org/read/6372>

آخر دخول: ٢٧ / ٥ / ٢٠٢٠. الساعة ٩ صباحاً.

الخاتمة والنتائج

أولاً: شكلت جماعة العازفين حلقة مهمة واستثنائية في سلسلة الشعر العبري في العصر الوسيط في إسبانيا (وعلى وجه التحديد في إسبانيا المسيحية)، وضمت مجموعة كبيرة جداً من الشعراء والكتّاب العبريين، الذين أخذوا على عاتقهم النهوض بالأدب العبري.

ثانياً: رغم الخطوات التي سار بها شعراء هذه الجماعة بالشعر العبري إلى الأمام، إلا أنهم ظلوا ينظرون إلى القصيدة العبرية الأندلسية على أنها النموذج الأمثل الذي يجب أن يحتذى؛ سواء من ناحية الأوزان والبحور أم من ناحية الأغراض والمضامين.

ثالثاً: كان هدف هذه الجماعة هو النهوض بالأدب العبري من كبوته، ولذلك فقلما وجد أعضاء هذه الجماعة مناسبة تستدعي نظم الشعر إلا ونظموا فيها، للتعبير عن ذاتهم ومجتمعهم من ناحية، وللنهوض بالشعر العبري من ناحية أخرى.

رابعاً: ارتبط شعراء جماعة العازفين بعلاقات صداقة قوية وجمعتهم علاقات اجتماعية شديدة (وربما قرابة أيضاً) ووجدوا في الشعر متسعاً للتعبير عن هذه العلاقات في شتى صورها وأنماطها ومما يتخللها من تهان وتعاز، وعتاب وشكوى، وود وترحيب وما إلى ذلك.

خامساً: إن تكوّن جماعة أدبية منظمة بهذا الشكل دليل على أن الأدب العبري قد وصل في نهاية العصر الوسيط إلى مكانة عالية بين اليهود، متجاوزاً بذلك فنون القول إلى فنون التنظيم والترتيب، وتبني صيغ أدبية معينة يمكن النظم على أساسها.

سادسا: كان شلومو ديفيرا ودون فيدال يوسف بن لافى من أبرز الذين المنتمين لجماعة العازفين مساهمة في شعر الإخوانيات، وقد جاءت إخوانياتهم في مواضيع كثيرة ومتعددة، تبرز كثيرا من الصلات الاجتماعية والإنسانية بين أعضاء هذه الجماعة.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

- أبو الوليد أحمد بن عبدالله المخزومي المعروف بابن زيدون، ديوان ابن زيدون، شرح/ يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
- ألفت محمد جلال، الأدب العبري القديم والوسيط، مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٧٨ م.
- بكري شيخ أمين، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، دار العلم للملايين، ط ٧، ١٩٩٩ م.
- توفيق علي توفيق، قطوف من الأدب العبري الأندلسي، القاهرة، ٢٠٠٤ م.
- خالد الخالدي، اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، مطبعة ومكتبة دار الأرقم، فلسطين - غزة، د.ت.
- سامية محمد فرحات، الفن القصصي العبري في العصر الوسيط بلاغة عيفر ودينة "دراسة تحليلية"، مجلة الدراسات الشرقية، ع ٥٣، ٢٠١٤ م.
- شوقي ضيف، ابن زيدون، دار المعارف، القاهرة، ط ١١، د.ت.
- عادين شتينزلتس، معجم المصطلحات التلمودية، ترجمة: د. مصطفى عبد المعبود، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية، ع (١٩).
- عبد الرازق قنديل، شعراء العبرية في الأندلس، القاهرة، ٢٠٠٨ م.

- علي السيد علي محمود، الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي دراسة مقارنة بين الشرق والغرب، الجمعية التاريخية المصرية، مج ٣٣، ١٩٨٦م.
- محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩م.
- محمد الهدلق، موقف موسى بن عزرا من البيان العربي، جذور، النادي الأدبي الثقافي بجدة، مج ٩، ج ٢١، ٢٠٠٥م.
- محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م.
- نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص، قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة، ط ١١، القاهرة، ١٩٩٧م.

ثانياً: المراجع والمصادر العبرية:

- האנציקלופדיה העברית כללית, יהודית וארצישראלית, חברה להוצאת אנציקלופדיות בע"מ, ירושלים, תשי"ז.
- חיים בן יוסף מיכל, אוצרות חיים "כולל הוספות ותיקונים הרבה והעתקות מקצת כ"י עם הערות מאת החכם החוקר משה שטיינשניידר", האמבורג, נדפס אצל נחום ב"ר יוסף האלבערשטארט, תר"ח.
- חיים בראדי, ר' שלמה דאפיאירה דברים אחדים אדותיו ואדות ספריו עם תוצאות מספרו "שיר השירים", ברלין, תרנ"ג.

- חיים שירמן, השירה העברית בספרד ובפרובאנס, ספר ראשון, חלק א, הוצאת מוסד ביאליק, ירושלים, 1965.
- חיים שירמן, תולדות השירה העברית בספרד הנוצרית ובדרום צרפת, ערך השלים וליווה בהערות: עזרא פלישר, הוצאת ספרים ע"ש י"ל מאגנס, האוניברסיטה העברית, ירושלים, תשנ"ז.
- יצחק בער לעווינזאהן, ספר תעודה בישראל כולל גדרי התורה והחכמה עם הערות מועילות וטובות בדרך ארץ, בדפוס המשותפים ווילנא והוראדנא, 1828.
- ישראל לוין, שירת תור הזהב "שירים", טדרוס אבואלעפיה, אוניברסיטת תל אביב, ההוצאה לאור ע"ש חיים רובין, מהדורה ראשונה, 2009.
- מתי הוס, סיפור עגבים או משל מוסרי? "מליצת עפר ודינה" לדון וידאל בנבנשת, המכון למדעי היהדות ע"ש מנדל, תשנ"ג.
- נפתלי יעקב הכהן, אוצר הגדולים אלופי יעקב "כולל תולדות גדולי ישראל מתקופת הגאונים הראשונים לא נעדר אחד מהם אשר הובא זכרו בדפוס או בכתב יד, חלק ג, חיפה.
- קלמן שולמאן, ספר תולדות חכמי ישראל, חלק 4, ווילנא, בדפוס והוצאת האלמנה והאחים ראם, 1878.
- שולמית אליצור, שירת החול העברית בספרד המוסלמית, כרך 2, האוניברסיטה הפתוחה.

- 'א' קאמינקא, 'שירים ומליצות להר' שלמה בהר' ראובן בונפיד', הצופה לחוכמת ישראל, י, תרפ"ו.
- שמואל הנגיד, דיואן שמואל הנגיד (בן תהלים), מתוקן על ידי: ד"ר דוב ירדן, הוצאה 2, ירושלים, תשמה.
- שמעון ברנשטיין, דיואן של שלמה בן משולם דאפיירה, יוצא לאור על ידי ד"ר שמעון ברנשטיין, חלק א, הוצאה חדשה ומתוקנה, הוצאת "עלים", ניו-יורק, תש"ג.
- שמעון ברנשטיין, שירי דון וידאל יוסף בן לביא עפ"י כתבי-יד אדלר ואוכספורד, תרביץ, המכון למדעי היהדות ע"ש מנדל, כרך חוברת תמוז, תרצ"ז.

ثالثًا: مواقع الإنترنت:

- <http://arab-ency.com>.
- <https://he.wikipedia.org>
- <https://benyehuda.org>

